سَجين عِشقِهِ

يسرا النوبي

اسم الكتاب : سجين عشقه
اسم الكاتب : يسرا النوبي
رقم الإيداع : 2017/10682
الترقيم الدولي 9789776527973
الطبعة الأولى : 2017
مراجعة لغوية، وإخراج داخلي : هيام فهيم
صادر عن : مؤسسة زحمة كتاب للثقافة والنشر
15 ش السباق – مول المريلاند – مصر الجديدة

www.za7ma-kotab.com
دار زحمة كتاب للنشر
za7ma-kotab@hotmail.com
01205100596

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة
لمؤسسة زحمة كتاب للثقافة والنشر
المشهرة قانونا بسجل تجاري رقم /84486

"لا تكنْ بلا حُبٍ .. كي لا تشعُر بأنكَ ميت،
مُتْ في الحبِ .. وابقَ حيًا للأَبد".

✍ .. سيدي جلال الدين الرومي

تقريم

إلى كل من هدم واقعه، وأظلم مستقبله .. إلى كل من عاش في فقاعة الماضي، وسحب أنفاسه منها، واستنذف كل ذرة أكسجين بداخلها، ليصبح ميتا بجسدٍ حي .. فبعضنا يقطن ماضيه بحثا عن ما فقده.

ربما هذا الكتاب سيساعدك، بأن تثقب فقاعتك وتستنشق هواء حاضرك، وأن تتخطى محنة استمرارك داخلها، الذي قد يدمر حياتك، أو ربما سيساعدك في أن تتمسك بشغفك الوحيد بالحياة حتى لو لم يعد بين يديك .. فكل الاختيارات تحتاج إلى تضحيات وربما جزءًا من الخسارة ... إذا فلندع الحزن علي ما مضى، والخوف من القادم، ولنسكن حاضرنا بلا ارتباك.

✍ .. يسرا النوبي

إهداء

إلى كل من ساعدني في كسر الحواجز بيني وبين موهبتي ... وعلى رأسهم زوجي "كريم يسري"، وصديقتي "فاطمة عبد العاطي".

شكرًا لكل من دعمني لأخرجَ هذه الرواية للملأ.

✍ .. يسرا النوبي

ألبوم صور

مر على فراقِها عامين، وهو في مَكانِه لا يتقدم، تَجول في خاطرهِ كل الذكريات التي تجمعهما منذ أن كانا معًا في نفسِ المدرسة حتى أصبحا معا أبًا وأمًا لطفلين "أحمد ورنا"، أحَبها كثيرًا، وأحَبتهُ أكثر بكثير.

جالسًا في مقعده المفضل في زاوية غرفة نومه، مرتديا بيجامته المفضلة له، ذات اللون الرمادي والملمس القُطني، والتي قدمتها له في عيد زواجهما الرابع.

- بابا .. بابا.

صرخات عالية بصوت طفولي يقطع حبل أفكاره وذكرياته. رنا وبنظرة طفولية تحمل بداخلها الرجاء:

- مش هتذاكر معايا بقى وتساعدني في الـMath.

يسرح محمد بها دون وعي لثوانٍ حتى يلملم تركيزه المنثور على ذكريات الماضي ثم يبتسم:

- يلا بينا بس بلاش تتعبيني معاكي وتحفظي بقى جدول الضرب.

تنظر له رنا بعد أن أشْعرها بالخجل، فقد استاءت من هذا الوحش الذي يُطاردها، وعليها مواجهته في هذه السنة، وهو جدول الضرب.

- حاضر يا بابا هحاول .. بس بشويش بقى ها؟

- مفيش حاجة اسمها هحاول .. في حاجة اسمها إن شاء الله هحفظه ماشي؟

- ماشي حاضر، بس متزوقش ها.

- طب يلا قُدامي.

تبعها محمد إلى الرسيبشن والذي يوجد أمام المطبخ ذو التصميم الأمريكي ويحتوي على سفرة مستطيلة ذات السِت كراسي، لونها بني غامق، خلفها يوجد أنتريه على شكل نصف دائرة، بلون كافيه يتوسطه طاولة صغيرة بلون الأنتريه موضوع عليها مرمدة كرستالية، في مقابل الطاولة يوجد التليفزيون ذو الشاشة المسطحة الـ LCD.

جلست رنا على أحد كراسي السفرة، واضعة كُتبها أمامها على السفرة بطريقة مبعثرة، وقد سحب محمد الكرسي الموضوع بجوارها وجلس عليه، ثم بدأ مهمته معها لكي ينجح في مساعدتها في حفظ جدول الضرب.

بعد أن أنجز محمد مهمته مع رنا لحفظ جدول ضرب 4 نهض متجها لمطبخه لكي يقوم بتجهيز العشاء، وبعدها نادى على أحمد الماكث في غرفته ينهي واجباته الدراسية لتناول العشاء معهما.

بعد انتهاء العشاء ذهب الأولاد لغرف نومهما لكي يستعدا للنوم، ثم ذهب محمد كعادته إلى غرفة نومه ليستلقي منهكا على فراشه.

رنَّة مألوفة تدوي بطبلة أُذنه، تمضي ثواني حتى يدرك أنها رنة منبهه، وأن الساعة أصبحت السادسة والنصف صباحا، لحظات تَمُر وهو يحاول بها جمع أشلائه من ما بقي من جسده المنهك من الآلام الداخلية والخارجية، يفتح عينيه ويغلقها مرة تلو الأخرى حتى يتخلص من تلك السحابة البيضاء التي تبقت من نومه ويستعيد رؤيته مرة أخرى، خيوط دموية حمراء منتشرة حول حدقة العين تشير لمدى إرهاقه النفسي والبدني.

ينهض محمد تاركًا السرير بعد أن ارتدى في قدميه حذائه الخفيف ذا اللون الأسود أو ما يدعى بالشبشب، الموضوع أسفل سريره، ثم يذهب ليوقظ أولاده للمدرسة، فقد اعتاد على ذلك البرنامج اليومي منذ أن تركته زوجته ورحلت تاركة وراءَها كل شيء.

أيقظ الأولاد وساعدهما في ارتداء اليونيفورم الخاص بمدرستهم وقد جهز لهم السندوتشات. تسحب رنا حقيبتها لتضعها فوق ظهرها.

- طبعا عملتلي السندوتشات اللي أنا بحبها.

- لانشون طبعا يا حبيبتي بس تاكليها كلها.

لتشتعل نيران الغيرة الطفولية بداخل أحمد:

- طبعا مهتم برنا وناسيني أنا خالص، وأنا بقى فين ساندوتشاتي؟

- أنا أقدر أنسى حبيب بابا؟! طبعا جاهزة ومربى فراولة زي ما بتحب كمان. بس يلا بسرعة قبل ما الباص يجي ويمشي، ما هو مش هيستنى طبعا كالعادة، أكيد عمو محسن زِهق من تأخيركم.

دقائق وسمع محمد صوت كلاكس عم محسن، وهو ينتظر الأولاد.

- يلا بسرعة أحسن تتأخروا، أهو الأتوبيس وصل، بس فين بوسة بابا الأول؟!

تضع رنا قبلتها على وجنة محمد ثم يتبعها أحمد وهو يتمتم كلمات بضيق:

- احنا مش كبرنا بقى على الجو ده؟

- إنجز.

فيضع أحمد قبلته هو الآخر ثم ينصرفا.

يذهب محمد إلى غرفة نومه بعد أن نظر من أحد النوافذ ليتأكد من أن أولاده قد صعدا إلى الأتوبيس، وأنه تحرك متجهًا إلى المدرسة. فتح دُولابه وهو ينظر بداخله باحثًا عن زيه الرسمي والذي اعتاد على ارتدائه في عمله وهو البدلة السوداء، فيمد يده ويسحب واحدة من ذلك الصف المليء بالبدل بألوانهم المختلفة، ثم يسحب قميصه الأبيض من الرف العلوي وربطة العنق التي كان يكرهها منذ أن كانت زوجته تُعلمه كيف يرتديها وتساعده على تقبلِها.

وضع محمد بدلته على جسده وأمسك فرشاة شعره وغرسها بين بصيلات شعره الأسود القصير ليعدل من صورته، ربط رِباط حذائه الأسود اللامع ووضع ساعته الفضّية حول معصمه، تلك الساعة التي تعلَّق بها منذ أن أعطتها له أروى هدية في عيد ميلاده الثلاثين، فقد كان هو عيد ميلاده قبل الأخير الذي يقضيه معها.

أخذ شنطته التي تحتوي على أوراق عمله المليئة بأسماء عملائه وأرقام ودائعهم وحساباتهم واللاب توب الخاص به، ثم خرج من شقته وأغلق خلفه الباب.

لجأ لسُلم عِمارته ينزلق بين درجاته لأسفل، فقد كان يقطن في الطابق الثالث من تلك العمارة، الشقة الثالثة من بين أربع شقق في الطابق الواحد، تجدها في الترتيب الثالث وأنت تصعد درجات السلم، ولكن تصبح في الترتيب الثاني وأنت تنزل من الطوابق العليا ، المصعد الكهربائي معطل منذ شهر وما زال يُحاول بواب العمارة جمع المال من سُكان العمارة لإصلاحه.

يصل إلى باب العمارة ليجد عم عبده البواب يجلس عند مدخل المبنى كعادته، دائما نجد اسم عبده تابع للبوابين دون النظر بأن هناك احتمال بأن يكون للاسم باقي فقد كان اسمه الحقيقي عبدالله، ولكن اختصره السكان لسرعة النطق به.

يجلس عم عبده على كرسي من البلاستيك لونه أخضر، وبين كفيه جريدة اليوم يتصفحها ليعرف آخر ما يدور في البلاد.

- صباح الخير يا عم عبده.

ينهض عم عبده من مقعده بلجبابه الأبيض، وشاله الأبيض الذي يحيط بعنقه وهو يمسك الجريدة بيده.

- صباح الفُل يا أُستاذ محمد، أنا نضفتِلك العربية زي ما حضرتك طلبت، تؤمرني بأي خِدمة تاني؟

- شكرًا يا عم عبده دايما تاعبك معايا.

تلك الكلمات تَخرج من لسانه بينما يضع ورقة نقدية فئة العشرين جنيه بين أصابع عَم عبده.

انصرف محمد لسيارته الفولكس ذات اللون الرمادي والتي اختارها مع زوجته في بداية عامهما الرابع بعد الزواج، وباع سيارته 132 الحمراء لتصبح الفولكس سيارته الجديدة في ذلك الوقت.

فتح محمد باب السيارة ووضع جسده على مقعد السائق وقد وضع مفتاحه بها بعد أن أغلق باب السيارة ليعطي لماتورها إذنا بالتشغيل متجها بها نحو عمله.

يصل محمد لمكان عمله ويركن سيارته بين تلك الصفوف المتراصة من علب الصاج ذات الألوان والأشكال والتاريخ المختلف، فكالعادة صعب إيجاد مكان لركن السيارة في هذا الوقت، حتى وجد مكانا أمام شركة للدعايا والإعلان تدعى "لايف" في الجهة المقابلة للبنك الذي يعمل به.

عبر محمد الشارع ليصل للبنك، فوجد رجل الأمن المدعو هشام ذو البشرة السمراء، والعضلات المفتولة وهو يجلس على مكتبه أمام البوابة الإلكترونية ذات الإنذار المزعج.

- صباح الخير يا هشام.

- صباح الخير يا أستاذ محمد .. اتفضل ادخل.

اخترق محمد البوابة الإلكترونية بجسده الذي يحمل الكثير من المعادن، فيسمع صوت الإنذار يدوي بأذنه.

يمر متجها إلى مكتبه ليجلس على كرسي المكتب ذي اللون الأسود المصنوع من الجلد، الموضوع على حلقة دائرية من العجلات الصغيرة التي تحتك بالسيراميك بلونه الأبيض، ثم يبدأ في استخراج أوراق عمله من حقيبته وفرزها أمامه.

بعد مرور ساعتين منذ أن بدأ محمد يومه الروتيني في العمل يسمع طرقات على الباب فيأخذ نظره من بين الأوراق التي أمامه ويوجهه نحو الباب.

- اتفضل.

ليدخل عم عبد القوي الساعي بخطوات بطيئة يحاول المحافظة على اتزانه وبين يديه الصينية الموضوع عليها فنجان القهوة ليقدمه لمحمد، والذي طلبه منه قبل نصف ساعة، يضع عم عبدالقوى الفنجان على مكتب محمد وسط زحمة أوراق العمل وأكواب الفخار التي كان يملأها الكافيين، المنتشرة على مكتبه، فقد عشق الكافيين بأنواعه المختلفة منذ وفاة زوجته، فمكتبه مُلئ بفناجين القهوة وأكواب الشاي والنسكافيه، ولم يجد النيكوتين من حياته مفر فأصبح من أشد معجبيه، وأصبح عاشقا للسجائر

ورائحتها، وكأن الكافيين والنيكوتين مسكنات تساعده على تسكين آلامه الداخلية لبضع دقائق.

يجمع عم عبد القوي الأكواب الفارغة من فوق المكتب ويضعها على تلك الصينية التي يحملها، ثم ينظر إلى محمد في انتظار سماع باقي أمنيات محمد من الطلبات:

- شكرا يا عم عبد القوي .. دايما تاعبك معايا.

فقد كان عم عبد القوي في منتصف عقده السادس، يبلغ من العمر السادسة والخمسين، جسد هزيل، ولون شاحب لانهماكه في خدمة موظفين البنك، يرتدي بدلته ذات اللون الأصفر الشاحب الاعتياديه، ويضع على كتفه الفوطة البرتقالية.

فيجيبه عم عبد القوي قائلا:

- ولا يهمك يا أستاذ محمد حضرتك تؤمر .. تؤمرني بأي خدمة تانية؟

- شكرا يا عم عبد القوي .. الأمر لله.

يقاطع حديثه طرقتان على باب المكتب ثم يلتف المقبض لفتحه، فيهم شاب بجسده الممتلئ والذي يظهر بعضا من الترهلات حول خصره بالدخول، عادل صديق محمد في العمل، يبلغ عمره الخامسة والثلاثين، شعره خفيف متفرق على أنحاء

جمجمته، يضع على عينيه نظارة ذات إطار مستطيلي لونه أسود، يتوسط إطارهما عدستان تساعداه في توضيح الرؤية.

يقتحم عادل غرفة المكتب ثم يجلس على أحد كرسيين المكتب الذي يرأسه محمد ناظرا لعم عبد القوي:

- إزيك يا راجل يا بركة .. وإزي صحتك .. عامل إيه؟

فيبتسم عبد القوي على نبرة عادل الفكاهية، فهو شخصية تعشق المرح، وهو يرد على كلماته:

- كويس الحمد لله يا أستاذ عادل.

- وأخبار البيت والعيال إيه؟

- كلهم بخير الحمد لله يا ابني.

- هما بقوا كام عيل لحد دلوقتي يا عم عبد القوي.

- ولد وبنتين.

- طب مش هتخاويه بقى يا عم عبد القوي؟

فيبتسم عبد القوي:

- هفكر حاضر في الموضوع ده.

فيقطع محمد حديثهما لأنه يدرك أن صديقه يعشق جلسات الحكاوي ولا يفرغ منها أبدا:

- طب يا عم عبد القوي حضرتك ممكن تتفضل دلوقتي.

فينصرف الساعي وبيده الصينية جاذبا خلفه باب المكتب ليغلقه.

عادل ينظر إلى محمد وهو يضع على شفتيه ابتسامة، تلك الابتسامة التي اعتاد محمد عليها في حالة احتياج عادل له، فقد كانت هذه ابتسامة المصلحة، فقد أسماها محمد بهذا الاسم.

- أخبارك إيه يا عادل؟

- تمام يا حوده يا حبيبي .. واحشني والله.

- باين .. باين.

- آه والنعمة اللي بتشربها دي واحشني.

- تقصد القهوة أكيد؟ .. مش السيجارة.

- يا سيدي اللي أنت عايزه.

- لا يا راجل .. ما أنت كل يوم شايفني، لحقت أوحشك؟

- يا حوده أنت بتوحشني وأنت معايا.

- اخلص.

- بص من الآخر كده، شوال البطاطا اللي عندي في البيت رايح لأهله النهارده وأنا معزوم في خروجة حلوة .. وعايزك تيجي معايا، أهو تغيير جو وتدّلع، وأنت عارف صاحبك بيعشق الدلع.

فقد اعتاد عادل على تسمية زوجته بـ " شوال بطاطا"، والتي حصل عليها من جواز الصالونات منذ عشر سنوات، وأنجب منها ثلاثة أولاد.

وصلت علاقتهما الزوجية لمرحلة الشيخوخة المملة التي تنتظر يوم فراق الحياة، لا تنبض بالحياة إلا لأجل الأولاد، فاستمرار زواجهما لأجل أولادهما لا أكثر.

أدرك محمد كالعادة ما يقصده عادل، فهو يفهم قاموسه، فجملة خروجة حلوة تفسر في قاموسه بوجود فتيات واللاتي اعتاد على مقابلتهن في الملهى الليلي المعتاد له، والذي يتعرف من خلاله على تلك الفتيات باختلاف أعمارهن وحالتهن الاجتماعية ، وكذلك النفسية، فمنهن المراهقات، الشابات، المطلقات، الأرامل، العاشقات، وكذلك المخدوعات .. مر عليه أنواع كثيرة، زهور من مختلف البساتين.

فيجيبه محمد بنبرة مشمئزة:

- بتحب الدلع ولا القرف؟!

- يا سيدي مش هنختلف في الاسم .. المهم رأيك إيه؟

- أنت عارف رأيي في الموضوع ده .. والمشكلة إنك بردو مصمم تحاول .. أنت إيه يا أخي مبتزهقش؟!

- يعني أنا غلطان يا صاحبي إني بفكر أدلعك وأبسطك، بدل الوش الخشب اللي أنت دايما لابسه ده!

- آه غلطان وفكك مني بقى يا أخي.

- ليه بس يا حوده كده تقفلها في وشي .. طب بص فكر تاني يمكن تغير رأيك ولا حاجة، وأهو تغيير بردو.

- قولتلك فكك مني وشيلني بقى من دماغك المدورة دي.

- هتفضل طول عمرك فقر يا نكدي، تصدق أنت بقيت شبه مراتي.

- والله؟! .. طيب يلا بقى طير من هنا علشان عندي شغل.

- هي بقت كده .. طيب يا صاحبي براحتك خلي الشغل ينفعك، كان بودي أدلعك بس ملكش في الطيب نصيب.

- أحسن بردو.

ينهض عادل متجها نحو باب المكتب ليستعد للمغادرة، بينما محمد ينظر نحوه مبتسما ابتسامة فكاهية:

- اطلع بره يا عادل.

- ما أنا أصلا طالع أهو.

فيخطو عادل للخارج وهو يدندن أغنيه سلام سلام يا صاحبي ويغلق الباب خلفه، يضحك محمد على خفة دم صديقه وعلى حياته التي اعتاد أن يفعل بها ما يريد دون أن يهتم بآراء الآخرين بها، فهو يحب العيش دون قيود، وربما الملل الذي أصاب حياته هو من دفعه للامبالاة فربما ذلك الصخب الذي

يسعى خلفه هو الشيء الوحيد الذي يكسر قاعدة الملل التي تملأ حياته.

يتذكر محمد زوجته أروى التي لم يرَ مثلها في حياته، لم يعرف فتيات غيرها ولم يحب أحدًا مثلما أحبها، وكأن اجتمع بها كل فتيات الأرض، فهي بالنسبة له جميع نساء الكوكب الذي نعيش فوقه، ثم يذهب بذاكرته إلى ألبوم الصور الذي يجمعهما منذ الطفولة.

فقد أرادت أروى الاحتفاظ بتلك الذكريات التي تمثل كل حياتها وأهم لحظات بها، فوضعتها قبل وفاتها بشهور في ملف على اللاب توب الخاص بمحمد.

يبحث محمد حوله بأركان الغرفة عن حقيبته التي تحمل بداخلها اللاب توب حتى يجدها بجانب المكتب الذي يجلس عليه فيخرج منها كمبيوتره المحمول ويضعه على مكتبه، يضغط على زر تشغيله .. ثوانٍ تمر حتى يُفعِّل الويندز نفسه على الجهاز حتى يتم تشغيله، ويصبح الجهاز جاهزا للاستخدام.

يحرك محمد أصابعه على الماوس الذي يعمل بـ "التاتش" فيذهب بالسهم الذي يتحرك بداخل الشاشة لذلك الملف الذي يحتوي على صورهما، ذلك الملف الذي أطلقت عليه أروى اسم "الكنز".

فيفتح محمد الملف بنقرتين عليه ويجول بين الصور وهو يقلب بينهم والتي جمعتهما منذ أن كانا في نفس المدرسة مرورًا بصورهما في شهر العسل، وتلك التي تجمعهما مع رنا وأحمد ليصل إلى آخر صور تجمعهم جميعًا معا والتي كانت قبل وفاتها بشهر.

من بين كل الصور وجد صورة لأروى وهي في السادسة من عمرها مرتدية فستانا قصيرا لونه أحمر وشعرها البني اللامع ينسال على جبهتها وقد وضعت بين خصلاتها توكة حمراء بلون الفستان، فتجذبه الصورة إلى أمواج الذكريات الماضية والتي تبحر في عالمه منذ أكثر من 25عاما.

❁❁

الطفولة

دق رنين الناقوس بين أرجاء فناء المدرسة ، فوقف جميع الأطفال في طوابير، كلٌ منهم في طابوره الخاص بعمره وسنته الدراسية.

لحظات ليبدأ عرض طابور الصباح والإذاعة المدرسية بمحتوياتها من نشيد الصباح، وحكمة اليوم، وهل تعلم، وفقرات أخرى تملؤها الرتابة، ثم تتبعهم تحية العلم.

يقف من بين الأطفال طفل قصير القامة، بشرته بيضاء، شعره أسود ناعم ينزلق على جبينه ، ذو وجنتين ممتلأتين بلونهما الوردي، وعيون بنية داكنة تميل بلونها للأسود.

يرتدي زي المدرسة ويضع على ظهره حقيبة زرقاء ذات كتفين، ينظر حوله في دهشة من كثرة تلك الوجوه التي تحيط به، والتي لم يعرف عنها شيئا، فكل تلك الوجوه جديدة لم تقع عيناه على أحدٍ منها من قبل، يشعر بخوف داخله مما سيواجهه في ذلك المجتمع الجديد وكيف سيواجهه بدون والدته، فذلك هو يومه الأول في تلك المدرسة، أول يوم في حياته يقضيه بعيدا

عن أحضان والدته، يشعر باشتياق شديد لها يكفي بأن يغمره في بكاء لا ينتهي ، ولكنه يحاول أن يتماسك وأن يواجهه ذلك التحدي في البعد عنها.

فكلماتها ما زالت تتردد على مسمعه، تلك الكلمات التي قالتها له وهو يقف أمام أبواب المدرسة على وشك الدخول:

- أنت كبرت دلوقتي وتقدر تعتمد على نفسك ، وأنا هفضل طول الوقت جنبك.

وعلى وجهها ابتسامة مليئة بالحنان تحاول بها إخفاء اللمعة التي تظهر بعينيها حتى تطمئنه:

- اتصاحب على زمايلك في الفصل والعب معاهم وابقى مبسوط، وأنا هستناك علشان تحكيلي كل حاجة عملتها النهارده .. ماشي؟

فينظر لها بوجه حزين:

- حاضر.

ثم تضع على جبينه قبلة وتتركه ينطلق ليبدأ يومه الدراسي الأول بحياته.

ما زال يقف بين زملائه في طابور الصباح ، يستمع لإذاعة المدرسة دون فهم، ثم كلمة مدير المدرسة التي لم يستوعب منها

شيئا سوى أن العام الدراسي الجديد قد بدأ، وهو عامه الدراسي الأول.

دقائق وانتهى طابور المدرسة، وانطلق الأطفال كلٌ منهم على الفصل الذي يتبعه. ذهب الطابور الخاص بمحمد على فصله بعد أن أرشدهم الأستاذ صابر مدرس اللغة العربية على مكانه.

دخل محمد فصله وهو يمر بين المقاعد ليختار أحدهم، فيجلس بجوار أحد الأطفال ثم ينزل حقيبته من على ظهره ويضعها أرضا بجواره.

ثم يرفع نظره ويجول به حوله وهو يتنقل بين الوجوه الكثيرة التي تحمل نفس نظرات الخوف الذي يحملها ومنهم من يوشك على البكاء ومنهم من يرغب في اللعب.

يسرح محمد في أفكاره ووصايا والدته له وهو ناظرا أمامه وفجأة تتشتت تلك الأفكار في رأسه وتتلاشى واحدة تلو الأخرى بعد أن جذبته تلك الفتاة التي تجلس أمامه وهي تعقد يديها على الدسك وتضع فوقهما رأسها ، وشعرها ينسدل على ظهرها على هيئة ديل حصان تعقده بتوكة بيضاء، ذلك الشعر البني اللامع ذو الملمس الحريري.

يدخل الأستاذ صابر الفصل بجسده النحيف ونظارته المقعرة، وشعره الخفيف فوق رأسه يكاد ينعدم، وهو يرتدي بدلته البنية

ذات النصف أكمام، ثم يضع كشكول تحضيره على المكتب ليبدأ الكلام:

- قيام.

فينهض جميع التلاميذ من مقاعدهم ليستعدوا لرد التحية.

- السلام عليكم.

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

- جلوس.

ثم يتابع كلامه:

- طبعا النهارده أول يوم ليكم في المدرسة .. فأحب أعرفكم بنفسي، أنا أستاذ صابر مدرس اللغة العربية "القراءة" يعني، هدرسلكم السنة دي بإذن الله، أحب بقى أتعرف عليكم وهنمشي بالترتيب، كل واحد يقوم يقولي اسمه وباباه بيشتغل إيه.

فوظيفة الأب تعتبر أهم من الاسم، فهى مقياس الاهتمام بالنسبة للمدرس على كل طالب، والتي يندرج تحتها حسن المعاملة والاحترام بين المدرس والتلميذ، فالعلاقة بينهم طردية كلما زاد المنصب زاد الاهتمام، فكثير من الأحيان نلجأ لمبدأ "المصالح بتتصالح".

يقف التلاميذ واحد تلو الآخر ليعرفوا أنفسهم ووظيفة آبائهم ببرائة شديدة لا يدرون أهميتها، فتتغير ملامح الأستاذ صابر من تلميذ لآخر، أحيانا يبتسم ويتبعها بكلمة "اتفضل"، ومرات أخرى يعبس ويتبعها بجملة "طب اقعد اللي بعده" وهم ينظرون له برهبة لا يدرون ما يغضبه وما يسعده إلا القليل يعي جيدا أهمية منصب والده، وما يحصل عليه من امتيازات في مقابلها.

وصل الدور على تلك الفتاة التي تجلس في المقعد الذي يقع أمام محمد، فتنهض بخجل وخوف ثم تبدأ بالتحدث بصوتها الهادىء:

- أنا أروى فتحي، وبابا بيشتغل في مصلحة الضرائب.

ثم تجلس لتتبعها الفتاة التي تجلس بجوارها، مرت دقائق حتى أتى دور محمد فينهض محمد وهو ينظر حوله ليجد نظرات جميع التلاميذ تقع عليه، فيضع على شفتيه ابتسامة مزيفة يخفي وراءَها رهبة الموقف.

- اسمي محمد سعيد، وبابا متوفى.

- طيب مامتك بتشتغل ولا ست بيت؟

فيجيبه محمد:

- موظفة في وزارة التربية والتعليم.

ثم يجلس ويقف من يتبعه.

بعد مرور ثلاث ساعات منذ دخول محمد فصله يدوي جرس ينم على بدأ وقت الفسحة، بعد قضاء ثلاث حصص.

تنهض أروى لتنظر خلفها باحثة عن حقيبتها لتضع بها أدواتها المدرسيه، فينظر إليها محمد ليرى ملامح تلك الفتاة التي أثارت انتباهه، فيرى صاحبة الشعر البني اللامع ذات البشرة البيضاء، والعيون الواسعة والقزحية ذات اللون العسلي، أنفها صغير وكذلك فمها ذو الشفاه الوردية، فتنظر له وتبتسم، ثم تخرج إلى فناء المدرسة.

لحظات وأصبح الفصل شبه فارغ بعد أن خرج منه معظم التلاميذ إلى فناء المدرسة للعب وتناول الساندوتشات التي يحملونها في حقائبهم، أخذ محمد حقيبته وخرج من فصله متجها للخارج يبحث عن أروى، فوجدها في الفناء تجلس منفردة بعيدا عن باقي التلاميذ وهي تنظر للأرض واضعة يديها تحت رأسها وبجوارها حقيبتها ووجهها مملؤ بالحزن.

تحرك محمد في اتجاهها لذلك المعزل الذي تجلس به ثم وقف أمامها، فتلاحظ أروى وهي تنظر إلى الأرض حذائه الأسود ذا الرباط، فترفع أروى عينها لتجد محمد يقف أمامها، ذلك الولد الذي يجلس خلفها في الفصل.

- ممكن أقعد جنبك.

بحزن يملأ صوتها:

- اتفضل.

وهي تمسك بحقيبتها الموضوعة بجوارها لتفسح مكانا له يستطيع أن يجلس فيه وتضعها أرضا.

- أنا اسمي محمد.

- وأنا أروى.

- مش أنت اللي قاعد في الديسك اللي ورايا؟

- أه .. أنا، في الديسك اللي وراكي على طول.

- امممممممم.

- مالك زعلانة كده ليه.

- ماما وبابا ولعبي وحشوني أوي .. أنا مش عايزه آجي هنا تاني.

محمد وقد نسي حزنه على فراق والدته ولعبه وأبدل حزنه باهتمامه بأروى وكيف يسعدها.

- تيجي نلعب؟

- نلعب إيه؟

يضع محمد حقيبته على ركبتيه ويهم بفتحها فيخرج منها سيارة لعبة صغيرة لونها أزرق أهداها له والده في آخر عيد ميلاد حضره له قبل وفاته وهو عيده الرابع.

- أنا بحب العربية دي أوي علشان بابا الله يرحمه جبهالي في عيد ميلادي من سنتين وباخدها معايا أي مكان بروحه، فأنا أخدتها النهارده من ورا ماما قولت يمكن أحب ألعب بيها شوية.

شعرت أروى بالسعادة بتلك اللحظات التي تقضيها مع ذلك الطفل الذي ربما يهون عليها بعدها عن والدها ووالدتها وألعابها.

- ماشى خلاص يلا نلعب بيها.

تمر الأيام والسنين وأروى ومحمد ما زالا معا، يكبران معا يفعلان كل شيء معا، ومعظم أوقاتهم تمر وهم معا، يمضيان يومهما الدراسي معا حتى نهاية اليوم الدراسي فتأتي لحظة الفراق، يفترقا ليذهب كلٌ منهما لمنزله، ينتظران صباح اليوم التالي بفارغ الصبر ليقص كلٌ منهما للآخر أحداث يومه في المنزل وما مر به.

وبعد مرور خمسة أعوام تجمعهم معا في هذه المرحلة الابتدائية تأتي اللحظة الأخيرة في هذه المرحلة يوم الامتحان الأخير لهم في الفصل الدراسي الثاني للسنة الخامسة.

بعد أن انقضت معظم دقائق الامتحان خرج محمد من لجنته بعد أن أنهى حلّه للامتحان وسلم ورقته للمراقب، اتجه محمد إلى

فناء المدرسة وجلس على أحد المقاعد منتظرا خروج أروى من اللجنة الخاصة بها.

لحظات لتخرج أروى من اللجنة فتجد محمد يجلس في أحد المقاعد وهو يرتدي بنطلونا جينز وقميص ذو أكمام، كاروهات بألوان السماء ، وهو ينتظرها وعلى وجهه ملامح الحزن والبؤس، فتذهب له أروى بخطواتها المرحة.

- عملتي إيه؟

- الحمد لله حليت كويس أوي .. وأنت؟

- الحمد لله حليت.

- مش هتفك وشك ده بقى.

- لا.

- ما أنا قولتلك إني هحاول لحد ما أقنعه.

- هتحاولي!

ناظرا لها باستنكار ثم يتابع كلماته بحدة:

- إنتي لازم تقنعيه، فاهمة؟!

فتبتسم برقة:

- أنت مش واثق فيا ولا إيه؟

- لا طبعا واثق فيكي .. بس هو أكيد لا.

- خلاص بقى أنا قولتلك متقلقش.

- هحاول.

- طب مش يلا بينا بقى نروح.

محمد بعد أن اطمأنت نفسه قليلا واستعاد إبتسامته:

- يلا بينا يا ستي .. وقولي للمدرسة باي باي.

ثم يذهبا كلٌ منهما في طريقه للمنزل بعد أن قضيا آخر يوم لهم في تلك المرحلة وتلك المدرسة.

❁❁

إثبات شخصية

يتأمل محمد الصور التي استوقفته كثيرا ليسبح في ذكريات الماضي ومرحلة الطفولة التي جمعتهما معا ، والتي كانت بداية تعلقه بأروى، فأصبحت تمثل له أهم شيء في حياته، بل كل حياته، فهو لا يستطيع العيش بدونها. صور تمثل له حياة بأكملها بدأت بظهورها بحياته وختمتها بفراقها.

نغمة رنين ترن من هاتفه المحمول تنم على استقباله لرسالة نصية تقطع حبل ذكرياته وتحدفه على شط الواقع. فيمسك محمد بهاتفه الموضوع على المكتب ليقرأ الرسالة فيُصدم بأن الساعة أصبحت الثالثة مساء وأنه تأخر على أولاده.

فيضغط على الرسالة مسرعا ليقرأها فيجدها من ابنه أحمد : "بابا إنت فين". يضغط محمد على زر الرد ليرسل رسالة لابنه ليخبره أنه قادم في الطريق: "أنا في الطريق أهو ، أنا آسف إني اتأخرت".

ثم ينهض مسرعا وهو يجمع أوراقه من على مكتبه ويغلق اللاب توب، ويضعهم في حقيبته ثم يمسك بهاتفه ومفاتيحه ويخرج، ليصعد محمد سيارته وينطلق مسرعا نحو منزله.

تمر نصف ساعة حتى يصل محمد إلى منزله، يصعد محمد درجات السلم وهو في عجلة من أمره فيجد أحمد ورنا جالسين على السلم أمام باب شقتهم في انتظاره، فيهمّا مسرعان نحوه.

أحمد بضيق يظهر على وجهه:

- كنت فين يا بابا اتأخرت أوي.

- آسف يا حبيبي إني اتأخرت عليكم .. مش هتتكرر تاني.

فتتبعه رنا بإلحاحها:

- يلا بقى يا بابا افتح الباب الشنطة تقيلة وضهري وجعني .. وكمان جعانة جدا.

فيخرج محمد مفاتيحه ويفتح باب شقته، فيدخل كل من أحمد ورنا مهرولان لغرفتهما ليبدلا ملابسهما، والاستعداد لوجبة الغداء، ثم يتبعهما محمد للداخل.

يذهب محمد ليجلس على الأنتريه وبين قبضته هاتفه يبحث عن رقم المطعم، الذي أصبح من عملائه المميزين لكثرة تعامله معه

منذ أن أصبح بدون شريكة حياته ولضيق الوقت لديه، فيومه لن يتحمل عبء إعداد الطعام أيضا.

لحظات ليجد محمد الرقم ويتصل بهم، ويطلب أوردره الشهير "3 بيتزا ميديم"، ثم يذهب إلى غرفته لتبديل ملابسه منتظرا وصول الأوردر الذي يستغرق نصف ساعة كالعادة.

مرت النصف ساعة منذ أن طلب محمد الأوردر، يرن جرس الباب فيهم محمد متجها نحو الباب ليستلم طلبه ودفع ثمنه بالإضافة إلى "البقشيش" طبعا.

ليصبح ما يدفعه محمد في "البقشيش" مقابل كل طلباته من ذلك المطعم في الشهر هو ميزانية أسرة مكونة من خمس أفراد في شهر واحد.

يضع محمد البيتزا على السفرة ثم ينادي على أحمد ورنا لتناول الطعام.

- بابا .. أحمد مغسلش إيده بالصابونة، وهي ترقص حاجبيها لأخيها وتخرج لسانها من فمها.
- والله يا بابا غسلتها دي كدابة.
- معلش يا أحمد ممكن تغسلها تاني علشان بس تثبت لرنا إنك نضيف أوي.
- حاضر.

يذهب أحمد لغسل يديه مرة أخرى ثم يأتي ليجلس بجوار أخته على السفرة ويجلس محمد معهما لتناول الغداء.

بعد تناول الطعام يسرع أحمد ورنا في مساعدة والدهم في التنظيف ثم يذهبا إلى غرفتهما، فيجد محمد نفسه قد أصبح وحيدا فيبحث عن حقيبة اللاب توب الخاصة به لينجز بعض أعمال المحاسبة الخاصة بالبنك، فيجدها في غرفة نومه موضوعة على السرير في مقابل الشرفة التي اعتاد الجلوس بها مع أروى يتسامران ليلا.

يذهب محمد إلى مطبخه لعمل كوبا من النسكافيه لنفسه ثم يأخذه لشرفة غرفة نومه ويضعه على طاولة صغيرة دائرية تتوسط الشرفة، وبجوار كوب النسكافيه المرمدة الزجاجية وعلبة السجائر الخاصة به وولاعته الفضية، لطالما عشق الفضة من عشق زوجته لها.

يضع محمد اللاب توب أمامه ثم ينهمك في متاهة عمله لمدة ساعتين ثم يعود بظهره للخلف ليريحه من عناء جلسته الطويلة على أعماله على ذلك الجهاز، فيعود بذاكرته لذلك الكنز الذي فتحه اليوم، ذلك الملف الذي وضعت به زوجته جميع ذكرياتهم واللحظات التي تجمعهم.

فيذهب محمد لذلك الملف ليسرح في تفاصيله، ويأخذ عقله في رحلة للماضي مرة أخرى.

الساعة السابعة والنصف صباحا، يقف محمد أمام أبواب مدرسته الجديدة الإعدادية المشتركة مرتديا بنطالا كحلي اللون وقميصا مثنية أكمامه ورابطة عنق لونها كحلي، من حين لآخر ينظر إلى تلك الساعة التي يرتديها والتي كانت هدية والدته لنجاحه في المرحلة الابتدائية، وعلى وجهه يظهر القلق، فلحظات الانتظار صعبة وتمر بصعوبة، وخاصة انتظار قرارات وأشخاص قد يغيروا مجرى حياتك بأكملها، ينتظر محمد في قلق وحماس معرفة هل نجح الأمر معها أم لا، ثم يرفع رأسه للسماء ليناجي ربه ليقف بجانبه ويطمئنه ولا يخيب ظنه وتنجح.

لحظات تمر سريعا على من حوله للالتحاق بأول يوم دراسي وموعد الطابور المدرسي، ولكنها بطيئة عليه من صعوبة الانتظار. فيجد فتاته تجري نحوه من بعيد، وهي ترفع يدها لتلوح له ووجهها مبتسم، فيبتسم لها محمد والسعادة تغمر قلبه.

أروى بعد أن أتعبها الجري، ودقات قلبها المتسارعة تعيقها من الكلام، تخرج منها الكلمات بصوت متقطع:

- مش قولتلك هعرف أقنعه.

- وحشتيني.

- وأنت كمان.

- طب يلا بسرعة الطابور هيبدأ.

فقد وجدت أروى صعوبة في إقناع والدها بفكرة المدرسة المشتركة حيث كان والدها ما يعرف بـ " الصعيدي الأصيل" ترك بلده نجع حمادي منذ أن تزوج من والدتها سميرة منذ أكثر من خمسة عشر عاما ليعيش بالقاهرة، ولكن الجينات الصعيدية ما زالت تسيطر عليه، حيث أنه كان يرفض فكرة المدارس المشتركة، وأن الأصح لها أن تدرس في مدرسة للفتيات في تلك المرحلة العمرية وأن تبتعد عن معرفة الأولاد في سنها هذا حتى لو كانت تلك المعرفة في إطار الزمالة أو الصداقة، فكل هذا نابع من خوفه عليها .. حتى أقنعته أروى بمساعدة والدتها سميرة بتلك المدرسة لتكون بصحبة محمد بحجة أن تلك المدرسة هي الأقرب لها، فأصبح فتحي في مأزق أمام زوجته وفتاته الوحيدة التي دائما يضعف أمام رغباتها، فخضع فتحي لرغبتهما بعد أن أخذ على ابنته وعدا بعدم التحدث مع أي من زملائها الأولاد في هذه المدرسة، فوعدته أروى بسهولة فهي لم تكن تعتبر محمد زميلا لها في الدراسة، بل اعتبرته صديقها وصديقتها في نفس الوقت، والذي تشاركه كل شيء في حياتها،

أحزانها وأفراحها منذ طفولتهما معا، ولهذا محمد لا يندرج تحت قائمة الزمالة ولا ينتمى للوعد بالنسبه لها.

لحظات وبدأ طابور الصباح، ثم انتهى ليتجه الطلاب إلى فصولهم فيجد محمد نفسه في فصل وأروى في فصل آخر، تلك الكارثة غير المتوقعة التي صدمته، فبعد أن سعى بكل جهده ليحقق هدفه في أن يكون مع أروى في هذه المرحلة يجد هذه العقبة تواجهه والتي كانت بسبب بُعد الألف عن الميم، فقد كان توزيع الفصول في هذه المدرسة طبقا للحروف الأبجدية.

تمر ساعات قليلة منذ أن بدأ اليوم الدراسي الأول لهما في تلك المدرسة ولكن تلك الساعات القليلة تمر عليه كأنها أيام وشهور، لا يمل من النظر في ساعته ليرى حركة العقارب البطيئة ولو بإمكانه أن يسرعها لم يتردد لحظة، تمر الساعات وهو منتظر وقت الفسحة، متلهف لرؤيتها كالمدمن الذي ينتظر جرعته من المخدرات ليستعيد الهدوء والاسترخاء في حياته.

يدق جرس الفسحة فيخرج محمد مسرعا متجها إلى فصل أروى فيجدها تتحدث مع فتاة تجلس بجوارها في المقعد، فتاة بشعر مموج أصفر وعيون زرقاء وبشرة بيضاء ووجه ممتلئ، ترتدي تنورة قصيرة كحلية وقميص أبيض يظهر من أكمامه مرفقاها، وربطة عنق كحلية لم تحسن عقدتها، وجسد ثمين بعض شيء،

ويظهر هذا في ساقيها البارزتين من التنورة، وقد ارتدت بهما جوربا لونه أبيض وحذاء أسود.

تنظر أروى في اتجاه باب الفصل فتجد محمد يقف في الخارج في انتظارها، فتبتسم له وتلوح له بيدها ثم تنظر لتلك الفتاة مرة أخرى وتحدثها بعجلة ثم تهم مسرعة بالنهوض متجهة إليه.

فتلاحظ أروى وجه محمد العابس، فينطق محمد بنبرة حزينة وغاضبة:

- الوضع ده مش هينفع.

- وضع إيه؟!

- إن كل واحد فينا في فصل لوحده .. احنا جينا هنا علشان نبقى مع بعض مش كل واحد لوحده.

- معلش يا محمد، دي مشكلة خارجة عن إرادتنا، وبعدين احنا بردو مع بعض.

محمد بغضب وصوت عالٍ:

- إزاي؟!!

- ممكن تهدا أنت بس شوية ومتزعلش .. احنا هنبقى مع بعض بس مش في الفصل.

- بمعنى؟

- هنقضي الفسحة كلها مع بعض، وممكن كمان تيجي توصلني لحد البيت .. مش أنت كان نفسك تعرف عنواني.

- آه طبعا من زمان .. بس .. باباكي؟!

يسأل محمد وعلى وجهه ملامح الدهشة والخوف من والد أروى المتعصب، حتى لا يوقعها في مشكلة، فيحرم هو منها.

- ما هو أنت مش هتوصلني لحد البيت أوي يعني، هتسيبني عند أول الشارع وأنا هكمل لوحدي.

- مقدرش أسيبك لوحدك .. هخاف عليكي.

- لا متخافش أنا بميت راجل.

وهي تنظر له مبتسمة دون إدراك لمدى جدية كلمات محمد، فهو كان يعني ما قاله بكل معنى للكلمة، فقد تحول الاهتمام تدريجيا إلى أمور يصعب عليها فهمها دون أن تشعر بها هي أيضا، وكذلك هو لم يكن يعلم بأن اليوم الذي سوف تتطور فيه مشاعره تجاهها إلى هذه المرحلة سوف يأتي.

- صحيح مين البنت اللي كنتي بتكلميها دي.

- آه فعلا .. أنت اللي نسّيتني أحكيلك على شيماء، دي بقى زميلتي في الديسك وشكلنا كدا هنبقى أصحاب.

يعقد محمد حاجبيه:

- مفيش صحاب غيري ها.

فتخرج من أروى ضحكة بصوت عالٍ:

- ده أكيد.

وبعد مرور عامان معا في تلك المرحلة، يظهر محمد مرتديا بنطال جينز وتيشيرت أسود وقد ظهرت عليه ملامح الرجولة، مرسوم فوق شفته العلوية ظل للشنب بلونه الأسود، وبدا على صوته خشونة الرجال، وهو يقف في محل للفضيات يدعى "سيلفر " وقد اشترى منه سلسلة فضية ذات العين المزينة بالحجر الأزرق، ووضعها في علبة زرقاء اللون وحقيبة مخصصة للهدايا.

اتجه محمد إلى النادي الذي ستقيم فيه أروى عيد ميلادها الثالث عشر ، فيجد أروى تقف بين زملائها المدعوين لتلك المناسبة ومعظمهم من فصلها ومن بينهم شيماء التي أصبحت صديقتها المقربة، وقد ارتدت أروى فستان بلون وردي قصير ، منعدم الأكمام وقد ظهرت عليها بدايات الأنوثة.

فيذهب محمد في اتجاهها وهو ينادي عليها:

- أروى .. أروى.

فتخطو نحوه مسرعة:

- محمد .. اتأخرت ليه؟

- معلش أنا آسف .. أنتي عارفة الزحمة بقى، آه صحيح كل سنة وأنتي طيبة .. اتفضلي.

وهو يرفع يده حاملا بها تلك الحقيبة التي تحمل هديته لها، فتمد أروى يدها لتأخذها منه بسعادة، وابتسامة تظهر بريق أسنانها البيضاء، ثم تسرع في فتحها لتجدها تلك السلسلة التي لطالما أرادت شرائها لعشقها الجنوني للفضة.

فتعطيها أروى لمحمد وتلتف طالبة منه أن يضعها حول رقبتها، وهى في غاية السعادة فيضعها محمد ثم تعود له بوجهها وهي مبتسمة.

- عجبتك؟

- آه حلوة أوي .. دي أحلى هدية جاتلي السنة دي.

فيشعر محمد بفرحة تغمر قلبه بعد أن تأكد من أنه استطاع أن يسعدها بأن قدم لها شيئا تحبه.

- طب اوعي بقى تقلعيها من رقبتك.

- أبدا، وهي تمسك بيديه بسعادة.

لحظات ليأتي زميل أروى في فصلها .. ويدعى مدحت، وهو ينظر لأروى نظرة إعجاب لا يفهمها سوى محمد ، فأشعرته بغيظ شديد، فوقف يتأمل ذلك المستفز.

- إيه الحلاوة دي؟!

فتبتسم أروى وقد شعرت بخجل شديد:

- شكرا يا مدحت.

- كل سنة وأنتي طيبة.

وهو يمد يده لها بتلك الحقيبة التي تحتوي على هدية عيد ميلادها.

- وأنت طيب، وهي تلتقط منه الحقيبة ثم تفتحها فتجد دبدوب أصفر اللون.

- الله .. ده حلو أوي.

- عجبك؟

- آه طبعا .. شكرا أوي يا مدحت.

- بس على فكرة إنتي أحلى.

فيقطع محمد حديثهما وقد احمرّ وجهه من الغضب وهو يرمقه بنظرة مليئة بالغيظ:

- شكرا يا مدحت بس ممكن تسيبنا مع بعض شوية .. عايز أقول لها على حاجة.

فينظر له مدحت بتعجب من حدة كلامه له فيجيبه:

- اتفضّل.

ويتحرك منصرفا ليتركهما على انفراد وهو ينظر لأروى مبتسما ويلقي كلماته الأخيرة لها:

- هستناكي نطفي الشمع.

فتهز أروى رأسها له بالموافقة ثم تعود بنظرها لمحمد، فتجده في قمة غيظه ووجهه غاضب.

- شكلك كده نسيتي وعدك لباباكي.

- ليه بتقول كده؟!

- إنتي إزاي تعزمي زمايلك الولاد على الحفلة.

- أولا أنا معزمتش حد، بس شيماء هي اللي عزمتهم وحطيتني في الموقف ده .. ثانيا أنا مش فاهمة أنت متعصب ليه!!

- أنا مش متعصب ولا حاجة .. وبعدين إيه القرف اللي إنتي لبساه ده؟!!

فتنظر أروى إلى فستانها بدهشة شديدة، فهذه المرة الأولى له التي يعلق فيها على أي شيء ترتديه.

- وماله بقى الفستان؟

- إنتي مش شايفة ولا إيه؟!

- لا .. أنا شيفاه كويس جدا، بس عايزه أعرف إيه اللي أنت شايفه.

- عريان أوي .. كمان إنتي إزاي تسمحي لنفسك تلبسي حاجة كده.

- إنت عارف إني النهارده عيد ميلادي .. وأنا عجبني الفستان ده فلبسته، وبعدين هو مش عريان.

- إنتي كمان بتكدبيني، لا عريان .. وإنتي عارفة كده كويس، ولا إنتي لابساه علشان تسمعي كلمتين حلوين من مدحت؟ آه ما هو قال لك إيه الحلاوة دي، ويا عالم قال إيه تاني، ما أنا تقريبا جاي آخر واحد.

- تقصد إيه يا محمد؟

- مقصدش.

أروى تنظر له بغضب شديد وقد ضاق صدرها من أقواله، فهي لم تتوقع حدوث ذلك منه في يوم عيد ميلادها.

- أنت بقيت غريب أوي .. وشكلك كده عايز تعمل عليا راجل.

- أنا راجل غصب عنك.

- أنا بجد زهقت من الطريقة دي.

- أنا أصلا ماشي .. اشبعي بقى بعيد الميلاد، واقضيه بقى مع مدحت براحتك .. سـلام.

ثم يدير لها ظهره ويرحل تاركا خلفه أروى، والدموع تلمع في عينيها وهي تحاول منعها حتى لا يلاحظها أحد.

❀❀

القرار الصعب

ترك محمد أروى والحزن يملأ قلبه غير مدرك لما فعله، وكيف تصارعت تلك الأحداث وتفاقمت لتلك الدرجة، تركها ليعود لمنزله.

بينما تجري شيماء نحو أروى وتسحبها من يدها لتذهب بها بين أصدقائها الذين يحيطون بها، يستعدون للحظة الاحتفال وإطفاء الشموع المغروسة ببطن التورتة بأعدادها المساوية لعمر أروى.

تقف أروى أمام تلك المنضدة الموضوع عليها التورتة ذات الثلاث عشرة شمعة، ومجموعة أخرى من الحلويات والمشروبات الغازية، وهي تنظر إلى أصدقائها من حولها وهم يغنون تلك الأغنية المعتادة في هذه المناسبة "سنة حلوة يا جميل" ووجوههم مبتسمة، ولكن عيونها تبحث بعشوائية بين وجوههم عن ذلك الشخص الذي تمنت وجوده في تلك اللحظة، لعلها تجده في أي مكان من حولها يشاركها هذه اللحظات الهامة بالنسبة لها، تبتسم إلى أصدقائها ابتسامة مصطنعة تخفي ورائها حزنا شديدا لما حدث بينها وبين محمد.

تمر دقائق صاخبة تحمل أصوات أصدقائها من حولها، تحمل ضحكاتهم وثرثرتهم، وهي ترتدي على وجهها العابس وجها يحمل تلك الضحكة المزيفة حتى ينقضي عيد الميلاد، وتغادر أروى لمنزلها بعد أن ودعت أصدقاءَها.

تقف أروى أمام باب الشقة، وتمد أصبعها لتضغط على الجرس فتفتح لها والدتها مبتسمة فترى ذلك الوجه العابس بعد أن اقتلعت تلك الابتسامة المزيفة من على وجهها، فتدخل أروى مسرعة في اتجاه غرفتها.

- انبسطتي في عيد الميلاد؟!

تسأل سميرة ابنتها بسعادة بينما تتجه أروى لغرفتها وهي حزينة دون أن تجيبها، ثم تغلق خلفها باب غرفتها، فتلحقها سميرة بعد أن لاحظت الحزن على ملامحها والدموع تظهر في عينيها، بينما يجلس فتحي والد أروى يشاهد التليفزيون.

تدخل سميرة غرفة أروى في عجلة دون أن تغلق الباب خلفها، فتجد أروى جالسة على حافة سريرها وهي تضع وجهها بين يديها وتبكي بصوت مرتفع، فتشعر سميرة بقلق على ابنتها فتجلس بجوارها:

- مالك؟ هو إيه اللي حصل في عيد الميلاد؟

فتنظر لها أروى ودموعها تتساقط من تلك السحابة التي تملأ عينيها.

- اتخانقت مع محمد النهارده.

سميرة بتعجب:

- ليه؟!

فتهدأ أروى قليلا ثم تبدأ في سرد الأحداث لوالدتها، بينما تحكي أروى لوالدتها ما حدث يشعر فتحي بعطش وهو يجلس على الكرسي ذي الأيدي الخشبية لمشاهدة التليفزيون، فينهض متجها للمطبخ ليجلب لنفسه كوبا من الماء ليروي عطشه.

بينما هو في طريقه للمطبخ يمر بجوار غرفة ابنته فيستوقفه اسم يرن بأذنه "محمد" ثم تستكمل ابنته باقي جملتها لوالدتها.

- محمد زعل مني وسابني يا ماما ومحضرش عيد ميلادي.

فيدخل فتحي غرفة ابنته وهو في صدمة شديدة لا يفهم سوى أن ابنته خانت وعدها له وأن هناك شخص يدعى محمد في حياتها دون علمه.

- مين محمد ده؟

فتتفاجأ أروى بوالدها وتنظر له في ذهول:

- بابا؟!

لتتوه الأحرف والكلمات من عقلها ويعجز لسانها عن نطق الكلام .. فبماذا ستجيبه؟!

فترد عليه سميرة بصوت هادئ لعلها تستطيع أن تصرف شبح الغضب الذي يسيطر عليه:

- مالك يا فتحي في إيه؟

- أنا سألت بنتك سؤال وعايزاها ترد عليا.

فتعجز سميرة عن الرد وتنظر لابنتها فتجدها تنهار في البكاء وهي صامتة دون أن تجيب على سؤاله لها، فيصرخ فتحي في وجه أروى:

- إنتي مش بتردي عليا ليه؟!

فتمسك سميرة بيد زوجها وهي تحاول تهدأته وقد شعرت بخوف على ابنتها:

- تعالا نخرج برا، وأنا هفهمك كل حاجة.

تأخذ سميرة زوجها فتحي وتخرج به إلى صالة المنزل وتجلسه على كنبة الأنتريه ثم تجلس بجواره.

- آه يا ستي فهميني.

- أنت عايز تعرف إيه؟

- مين محمد ده؟!

- ده زميل أروى من الابتدائي، ومعاها في نفس المدرسة المشتركة بتاعتها.

- أنا وافقت على المدرسة دي بناء على وعد بنتك ليا .. إزاي هي تخون وعدها معايا؟!

- هي مخانتش الوعد ولا حاجة .. هي بس مكانتش معتبرة محمد زميل ليها .. ده صديق طفولة، وبعدين هي في فصل مختلف عنه.

- أنا معرفش كل اللي إنتي بتقوليه ده .. أنا كل اللي أعرفه إنها تلتزم بوعدها معايا .. وأنا قولت إني المدارس المشتركة دي غلط من البداية.

- معلش يا فتحي هي فترة كل اللي في سنها بيمروا بيها وبنتك ما شاء الله بتكبر.

- آديكي قولتي بنتك بتكبر، والخوف عليها بيكبر بردو.

- خلاص أنت متزعلش نفسك بس وأنا هخليها تصالحك كمان وتنفذ كل اللي أنت عايزه.

ثم تنهض سميرة متجهة لغرفة ابنتها لتحاول إقناعها بأن تعتذر لوالدها حتى يرضى عنها.

فتذهب إليه أروى لتجده يجلس على الأريكة ووجهه يحمر غضبا فتقف أمامه بحزن وانكسار:

- أنا آسفة يا بابا.

- أقبل أسفك إزاي وإنتي وعدتيني قبل كده وخونتي وعدك ليا؟!

- أنا مقدرش أخون وعدي ليك أبدا يا بابا.

- أنا هسامحك المرة دي علشان مامتك .. بس عندي شروط.

- حضرتك تؤمر.

- ملكيش علاقة باللي اسمه محمد ده تاني، وتنسى إنك تتكلمي معاه .. وتقضي آخر سنة ليكي في المدرسة دي وأنا هنقلك في الثانوي مدرسة تانية للبنات، وتخلي بالك من دراستك وبس .. وتلتزمي بقى بوعدك ليا من غير محمد ولا حتى غيره .. فهمتي؟

أروى تنظر له بانكسار وحزن، لا تستطيع رفض شروط والدها مرغمة على تقبل تلك الأصفاد التي وضعها على علاقتها بمحمد قيود لا تستطيع فكها حتى لا تقع في مشاكل أكبر.

فتهز رأسها بخضوع واستسلام:

- حاضر يا بابا.

فيضمها فتحي إلى صدره ويقبل جبينها بعطف:

- أنا بس خايف عليكي وإنتي يا بنتى أغلى حاجة عندي وعايز أحافظ عليكي.

بينما يسيطر الصمت والذهول على أروى، لا تنطق بأي كلمة مذهولة من تتابع هذه الصدمات في يوم واحد ولا تدري كيف ستقضي القادم لها بدون محمد.

يأتي اليوم التالي وتذهب أروى إلى مدرستها وهي ما زالت في حالة صدمة ويدور برأسها الكثير من الأسئلة والتي تعجز عن إيجاد أجوبة لها.

هل ستستطيع أن تخرج محمد من حياتها بتلك البساطة؟ وبماذا ستخبره عندما يسألها ماذا بها ... بماذا ستجيبه؟

وكيف ستقنعه بأن يبتعد عنها؟ كيف ستقنعه بشيء هي لم تقتنع به، تخبره بأن يذهب خارج حياتها بينما بداخلها هو كل حياتها.

تصل أروى إلى المدرسة وتدخل فصلها بعد طابور الصباح والصمت ما زال يخيم عليها، شاردة الذهن تسمع الأصوات من حولها دون أن تميزها أو تميز محتواها ، تنتظر وقت الفسحة فهو الوقت الحاسم بالنسبة لها لتتخذ القرار الصعب الأول في حياتها وتخبر به محمد وتتحمل عواقبه.

مرت ساعات قليلة ليدق جرس الفسحة فتخرج أروى من فصلها متجهة إلى فناء المدرسة لتجد محمد منتظرا كعادته في الركن

الذي اعتادا الجلوس فيه معا، فتذهب له وهي في غاية الحزن، لا تدري بماذا ستخبره ، وهي تحاول التحكم في مشاعرها ودموعها، فتصل إليه وتجلس بجواره:

- أنا آسف يا أروى.
- على إيه؟
- على اللي عملته معاكي إمبارح .. مكانش ينفع أمشي وأسيبك لوحدك في اليوم ده.

أروى تنظر له وهي عاجزة عن الكلام لا تدري ماذا ستقول له وكيف ستخبره بهذا القرار الصادم.

فيستكمل محمد كلامه بصوت يستعطفها لترضى عن صاحبه:

- بس إنتي كمان عارفة إنك غلطانة.

لم تستطع أروى في تلك اللحظة أن تكبت دموعها أكثر من ذلك فخرجت تجري على وجنتيها وبصوت مبحوح:

- محمد احنا مش هينفع نكلم بعض تاني .. أو حتى نشوف بعض.

محمد بدهشة:

- تقصدي إيه؟
- بابا عرف امبارح كل حاجة وزعل مني ومش هيسامحني غير لما أقطع علاقتى بيك.

محمد ينظر لها في ذهول ودهشة:

- وإنتي هتعملي كده فعلا؟!

أروى باستسلام:

- آه .. مش عندي حل تاني.

- إزاي تقرري إنك تضحي بيا بالسهولة دي؟هتقدري كمان؟ وإزاي هتنسي كل اللي بيننا؟

بينما أروى تحاول أن تتماسك وتزيح تلك القطرات الخارجة من جفنيها.

- أنا لازم أعمل كده .. وده آخر قرار عندي، فبعد إذنك متحاولش تكلمني تاني أو حتى تظهر في حياتي بأي شكل من الأشكال .. وتنساني للأبد.

ومحمد ينظر لها في تعجب شديد لمدى تقبلها لهذا القرار وقدرتها على الابتعاد عنه وخضوعها واستسلامها لرغبة والدها دون حتى أن تحاول في المقاومة.

فتنهض أروى بعد أن أنهت دورها، لعبت دور التماسك أمامه وأدته باحتراف حتى أنه صدق أنها فعلا لا ترغب في رؤيته مرة أخرى في حياتها وترغب في الابتعاد عنه، تركته أروى وهو يتلوى من آلام ذلك السهم الذي ألقته فاخترق صدره جراء ذلك القرار الصادم له، بينما أروى تغرق في بحر الحزن والدموع في عينيها تحاول تقبل القرار الصعب وألمه.

❁❁

العودة

تتوالى الأيام وتجري في حياة أروى محاولة أن تخفي الثقب الذي أحدثه الوعد في قلبها، وتقلل الألم الذي تعاني منه في صدرها منذ أن اتخذت ذلك القرار الصعب.

تذهب أروى يوميا إلى المدرسة وتجلس بمفردها دون أن تتحدث مع أحد، فقد أصبحت انطوائية، كئيبة تبحث عن ابتسامتها التي اختفت مع الأيام، ترتبك عند رؤية محمد والذي كان يحاول تجنب رؤيتها فمنع نفسه من الخروج في وقت الفسحة منعا للاصطدام بها في أي وقت.

ابتعدت أروى عن زميلاتها في الفصل حتى صديقتها شيماء أصبحت تتجنب الحديث معها خوفا من الخوض في تفاصيل قرارها، فقد حاولت شيماء التقرب منها ومعرفة أسباب تغيرها المفاجئ وابتعادها عن محمد دون سابق إنذار ولكن باءت المحاولات بالفشل.

تذهب أروى صباحا إلى المدرسة كل يوم وتخرج في وقت الفسحة لتجلس منعزلة عن باقي الطلاب حتى تعود لتستكمل

باقي يومها الدراسي ثم تأخذ طريقها المعتاد لمنزلها لتمكث باقي يومها في غرفتها دون أن تتحدث مع أحد، فقدت أروى حس المرح والدعابة، أصبحت حياتها تعيسة بلا سعادة وفرح، تعيش حياة روتينية رتيبة خالية من محمد.

وقد لاحظت والدتها سميرة غياب بسمة ابنتها منذ قرار والدها والذي أصرت أروى أن تلتزم به.

حتى يأتي اليوم الذي يشعر فيه محمد بحنينه لأروى والتي سمع عنها من أصدقائها أنها أصبحت غريبة الأطوار .. لا ترغب في التحدث مع أي شخص آخر.

فينتهز محمد وقت الفسحة ليخرج باحثا عن شيماء ليعرف منها أخبار أروى وكيف حالها ، ولكن كيف ستجيبه شيماء وقد أصبحت أروى بالنسبة لها شخصية غير مفهومة، لا تعرف عن أخبارها سوى القليل.

فوجدها جالسة بجوار مدحت، ذلك الشاب ذو الاسمين: أحدهما مدون في شهادة ميلاده وهو "أمجد" والآخر مدحت، والذي اشتهر به منذ ولادته حتى أن جميع من حوله عرفوه بذلك الاسم، وكل هذا نشأ بسبب الخلاف الأسري الذي يحدث بين الآباء والأمهات حول أسماء أولادهم فأصبح ذلك الابن بهويتين إحداهما أصلية وغير مرغوبة والأخرى مزيفة ولكنه يعشقها.

أصبح كل من شيماء ومدحت بما يعرف بـ"الكابل" بعد أن أصاب مدحت الملل من محاولاته للتقرب من أروى والتي باءت جميعها بالفشل الذريع، حيث كانت أروى ملتزمة بوعدها لأبيها إلى أقصى درجة ممكنة، حتى أنها لم تكن ترد عليه بـ "صباح النور" مكتفية بابتسامة خفيفة على وجهها دون النظر بوجهه، فأصبحت بالنسبة له شخصا ميؤوس منه، لا تجدي معها كل محاولاته، فاتجه لصديقتها شيماء والتي كانت معجبة به منذ البداية، لتصبح بصحبته طوال وقتها الذي تقضيه في يومها الدراسي.

بينما مدحت يتحدث إلى شيماء يجد محمد يقف أمامهما فتوقف عن كلامه، ليبدأ محمد حديثه:

- إزيك يا مدحت.

- أهلا يا محمد، عامل إيه؟

- أنا الحمد لله كويس، وإنتي يا شيماء عامله إيه؟

- أنا بخير الحمد لله يا محمد.

- أنا كنت عايزك في كلمة على انفراد .. بعد إذنك طبعا يا مدحت.

- اتفضل.

فتنهض شيماء من جوار مدحت ناظرة له في دهشة وفي عينيها تساؤلات حول ما يريده منها محمد، فلم يعد بينهما حديث منذ أن انقطعت علاقته بأروى.

تذهب شيماء مع محمد إلى ركن بجوار أحد الفصول لا يوجد به أحد، فيسأل محمد شيماء في لهفة شديدة:

- هي أروى عاملة إيه؟

- اشمعنى؟

- إنتي عارفة إن احنا مبقيناش بنكلم بعض وأنا معرفش عنها أي حاجة.

- ولا أنا أعرف عنها أي حاجة كمان غير كلامها البسيط معايا، دي حتى مرضيتش تقول إيه اللي حصل بينكم وخلاكم تبعدوا عن بعض.

- طيب هي عاملة إيه دلوقتي؟

- بص يا سيدي من الآخر كده هي في الغالب كويسة بس من بره .. من جوه بقى ربنا أدرى بحالها.

- مش فاهم؟

- اللي أقصده إنها بقت انطوائية وكئيبة، بطلت تكلم أي حد وأنا الوحيدة اللي بتكلمني وكمان قليل أوي، حتى ضحكتها اختفت وبقت نادرا بتبتسم.

فيظهر الحزن على وجهه على أروى وعلى حالها وما حدث لها، لا يدري ماذا يفعل .. فتطرأ على ذهنه فكرة:

- طب أنا عايز منك طلب واحد.

- اتفضل قول ولو هقدر أعمله أكيد مش هتأخر.

- إنتي عارفة طبعا إن العلاقة ما بيني وبينها مبقيتش موجودة .. ومش هعرف أرجّعها كمان.

- آه.

- فممكن تحاولي ترجعي تقربي منها تاني وتعرفيلي أخبارها دايما وتطمنيني عليها؟ أنا عارف إن كلامها بقى قليل أوي بس عارف إنك هتقدري تنجحي في إنك تخليها تتكلم وتقرب منك تاني.

فتنظر شيماء له بدهشة وتتعجب لمدى اهتمامه بأروى رغم أن علاقتهما انتهت، إلا أنه ما زال مهتما بها، فتجيبه:

- حاضر هحاول.

فيبتسم لها محمد بعد أن شعر بقليل من الاطمئنان على أروى وأنه ربما يستطيع أن يساعدها في استعادة ابتسامتها رغم أنه بعيد عنها.

- شكرا أوي يا شيماء وأنا مش هنسالك المعروف ده.

فتبادله شيماء الابتسامة وتنصرف.

تمر آخر سنة في مدرسة أروى الإعدادية المشتركة سريعا وتنقضي، وما زال محمد على تواصل مع شيماء صديقة أروى ليحصل من خلالها على أخبار أروى وما الجديد في حياتها، حتى تبدأ مرحلة جديدة في حياتهما وهي مرحلة الثانوية، وقد قرر بها فتحي والد أروى نقل ابنته في هذه المرحلة إلى مدرسة للفتيات فقط، لتبتعد عن مدرستها المشركة بأصدقائها الذين اعتادت عليهم، لكنها كانت ما تزال على اتصال دائم بشيماء والتي لا تعرف صديقة غيرها، حتى أنها لم تستطع أن تكوِّن أي صداقات مع زميلاتها الجدد في مدرستها الجديدة، تمكث بمفردها في عزلة تامة، وحديثها مع زميلاتها يتلخص في كلمتين "صباح الخير"، و"صباح النور".

ازداد حزن محمد بعد أن أيقن من أن أروى قد اختفت من حياته كليا، فحتى رؤيتها من بعيد بالنسبة له أصبحت أمرا مستحيلا خاصة بعد أن طلبت هي منه ذلك بعدم الظهور في حياتها.

ولكن لم يستطع أن يمنع نفسه من رؤيتها، فشوقه إليها دفعه ليذهب إلى منزلها ويمكث في الشارع تحت شرفة غرفتها، ينتظر وقت خروجها في الشرفة حتى يحصل هو على لحظات يتمتع فيها برؤيتها ليشبع شوقه الشديد لها، لكنها لم تظهر له أبدا

فقد كرهت حتى رؤية الناس من بعيد، ورغبت في الانعزال عنهم وعن عالمهم.

وأغلقت كل الأبواب في وجه محمد ولم يجد سوى باب شيماء صديقتها، فلجأ لها مرة أخرى وكأنها المنقذ الوحيد له، فهي التي ما تزال على علاقة بها، والتي تعرف أخبارها، فخصص لها الساعة السابعة مساء من كل يوم والتي يكون بها قد أيقن بأن شيماء قد تحدثت مع أروى في الهاتف قبلها بساعة فيضمن حصوله على معلومات جديدة عن أروى، فيتصل بشيماء في ذلك الوقت ويحصل منها على كل ما هو جديد في حياة أروى.

يمر عامان ومحمد على هذا المنوال لا يسأم، ما زال على اتصاله بشيماء، ولم تسنح له الفرصة مرة واحدة لرؤية أروى ولو صدفة، كم كان يتمنى رؤيتها في أي مكان ليطمئن قلبه ولو بنظرة واحدة محاولا منع نفسه بالظهور في حياتها متعمدا حتى يلتزم بطلبها القاسي منه.

يرن جرس الباب بمنزل فتحي، فينهض فتحي متجها إليه لفتحه، فيجد أخاه حجاج ومعه ابنه خالد، فيبتسم إليهم ابتسامة ترحيب وشوق ويدعوهم للدخول مرحبا بهم، ذلك الترحيب الذي لا يخلو من السلام الحار والأحضان، حيث كان حجاج يعيش في نجع حمادي بلده الأصلي وبلد أخيه، ونادرا ما يأتي إلى القاهرة

ويقابل أخاه فتحي ، ولكن يراه دائما في زيارة فتحي لنجع حمادي السنوية أحيانا بالعائلة وكثيرا منفردا.

يرتدي حجاج ذو الكرش الكبير جلبابا صعيديا بلون كحلي وحذاء أسود لامعا ، يقف بجانبه ابنه خالد ذو النظارة ذات الإطار الأسود المنصوبة على أنفه المفلطح قليلا لتغطي عيونه البنية الضيقة، شعره أسود قصير، فمه صغير وجسده نحيل، فقد أرهق كل طاقاته في الدراسة حتى يلتحق بكلية الهندسة، واليوم هو قادم مع والده إلى القاهرة ليقدم أوراقه للالتحاق بكلية الهندسة جامعة القاهرة بعد قبوله بها في مرحلة التنسيق.

يدخلهم فتحي إلى الصالون وهو يردد كلمات الترحيب على شفتيه:

- مصر نورت النهارده والله يا حجاج يا أخويا.

حجاج وهو يجلس ويريح ظهره واضعا رجله فوق الأخرى:

- منورة بأهلها يا فتحي.

فتحي ينظر بتعجب إلى خالد ، يتعجب من سرعة مرور الوقت وأنه أصبح شابا في غاية السرعة.

- كبرت يا خالد ما شاء الله وبقيت راجل.

فيهز خالد نظارته فوق أنفه بخجل وهو مبتسم، فينظر له والده نظرة فخر ثم يجيب على كلمات أخيه بشموخ:

- شوفت السنين بتجري إزاي .. أهو كبر بسرعة وهيدخل كلية الهندسة ، وكمان خمس سنين وهيبقى بشمهندس كد الدنيا.

طرقتان على باب الغرفة يتبعهما دخول سميرة وأروى خلفها لإلقاء التحية على الضيوف وعلى وجههم ابتسامة للترحيب ، ثم تغادر سميرة للمطبخ لتجهيز الغداء للضيوف بينما تترك أروى معهم جالسة بجوار والدها.

يخطف حجاج نظرة من أروى مليئة بالإعجاب لولا أنه عمها لانضمت نظرته ضمن طلب يدها للزواج، واندرجت تحت زنا المحارم نظرة متعمقة مفصلة تكاد تثقب ملابسها ليظهر إعجابه بمفاتنها ، يداعب حنينه لمراهقته التي لم ينعم فيها بمثل ذلك الجمال الفاتن، فكم أصبحت أروى فتاة جميلة تنطلق منها بدايات أنوثة تنم على أن الآتي أجمل من ذلك ، بينما تلقي أروى بعينيها على الأرض بوجه ملأه الخجل الصافي الذي يتصدر لمثل تلك الأنواع من نظرات الإعجاب.

حجاج:

- ما شاء الله يا أروى .. كبرتى واتدورتي وبقيتي عروسة .. إنتي في سنة كام دلوقتي؟

كان حجاج يشير بكلامه لمعنى أن اسمها الآن أصبح يندرج في قائمة القادرين على التزاوج والتكاثر في موسم انقسام الخلايا وتكاثرها، بموسم التكاثر السنوي الذي يفتقد للبدايات والنهايات عند البشريين، فكعادة مجتمع شب وكبر به هذا هو موعدها لتقوم بدورها في زيادة عدد نسمات قانطين البلد، قابلة للزواج في ذلك العمر دون النظر لما تريد أن تكون في نفس ذلك العمر فدور الأم والتي في غالب الأمر لا تفهم عنه شيئا يناديها باشتياق لتدخل في نطاقه وتمضي باقى القادم من حياتها بين أحضان حوائط بيتها، مربية لأطفالها وخادمة لزوجها، أما ليلا تصبح خادمة سريره.

فتجيبه أروى بصوتها الهادئ والذي يخترق القلوب بأول أحرف تنطق بها لتسكن بداخلها:

- السنة الجاية هبقى في تالتة ثانوي إن شاء الله.

- طيب شدي حيلك بقى وذاكري كويس علشان تجيبي مجموع كبير وتدخلي كلية الهندسة زي ابن عمك كده .. أهو قِبل في جامعة القاهرة وخمس سنين ويبقى مهندس ويبقى عريس ملو هدومه ألف عروسة تتمناه.

كم أنه يعشق التباهي ذلك الكرش الكبير، وكأنه بقرة نسيت مواعيد ولادتها، كان تاجرا للماكينات الزراعية، من أعيان نجع

حمادي، كثير السفر لمدينة الألف مأذنة ليقابل موردي تلك الأجهزة له وفي أغلب تلك الزيارات يذهب لأخيه ليرى ما أصبح عليه ذلك الموظف الحكومي الذي أكمل تعليمه وترك بلدته ليلهث وراء زوجته وحبيبته ويعيش معها في القاهرة ، يملك فدادين من الأراضي الزراعية ، يستخدم دائما أسلوب الحسرة على أخيه ليشعره بالنقص في حياته بتلك الملاليم التي يتقاضاها كل شهر بينما هو يكسب الكثير من وراء تجارته رغم أنه لم يكمل تعليمه ، يحاول أن يظهر لأخيه كل مكاسبه في الحياة من أموال وأراضي وعقارات ليشعره بأنه دائما هو الأفضل، لعله يصيبه بالحسرة ويفقده إحساسه بالسعادة في حياته والتي في الغالب لم يستطع حجاج أن يحصل عليها بأمواله محاولا تعويض عقدة نقصه في الحياة بعدم تكملة مراحله التعليمية أو حتى زواجه بفتاة يحبها بدلا من تلك التي وجدها في حياته وهو في السابعة عشرة من عمره ، يجود بخيراته على أخيه الفقير إلى الله للمن عليه وربما كسر عينه وسعادته بحياته أيضا.

نظر حجاج إلى ابنه نظرة مليئة بالفخر، ذلك الأخرق البديل له والذي سيكسر به حاجز حرمانه من ذلك الجمال ليورثه لابنه، فهو لم يذهب بعيدا أيضا على اعتبار أنهم واحد ، سلعته

المحتكرة والتي سيكسب بها أمام منافسيه من الشباب الراغبين بالحصول عليها ، ويرفع يده ليربت على كتفه وكأنه ينفض بعض الأتربة من عليه ليجمله أكثر، ليصبح جديرا بها أمامهم.

بينما يبادله خالد ابتسامة بنظرة مليئة بروح الانتصار، حيث أنه ناضل في الثانوية العامة، ذلك الوحش الكبير الذي يقابله في أسوأ مراحل حياته، وتغلب عليه ليصل إلى كلية الهندسة، فهو لم يكن يعرف شيئا في حياته سوى الدراسة وكيفية فك شفرات فيثاغورث ونيوتن وأينشتاين وكثيرا من اللوغاريتمات ، حفظ قوانينهم لتصبح في ذاكرته الدائمة محفورة وكأنها اسمه، لا يأبه بذلك الجزء من كلام والده والذي ذكر أنه سيصبح "عريس ملو هدومه" فهو لا يهتم الآن بآلاف العرائس اللاتي يتمنينه، لا يأبه سوى بهندسته.

- ولا إيه يا فتحي؟!

ينظر حجاج لفتحي وعلى وجهه شبح ابتسامة ماكرة يبعث من خلالها رسالة لأخيه وهو ينظر بطرف عينيه مشيرا لأروى، فيجيبه فتحي وهو مبتسم ابتسامة تدل على فهمه لتلك الرسالة التي بعث بها حجاج من خلال شبح ابتسامته الماكرة وإشارته لأروى وأنه قرأها من خلال عينيه ووافق عليها أيضا وهو يردد كلمات تؤكد موافقته المبدئية:

- أكيد طبعا يا أخويا .. وزينة البنات كمان تتمنى .. هو مين يطول يناسبك، ده أنت تشرف أي حد.

فينمو إحساس الفشخرة بداخله ولكنه يرغب ببعض السماد لنضجه واكتمال نموه، فيتوجه لأروى لتعطيه ذلك المخصب لنبات الفشخرة الذي بداخله، محاولا أن يحصل منها على ما يؤكد له كلام والدها على شرف نسبه العظيم.

- وإنتي كمان يا أروى رأيك كده؟

فتدرك أروى الرسالة المتداولة بين أبيها وعمها في حديثهما المتواضع وأن والدها قد وافق على محتواها دون اهتمام برأي صاحبة الشأن العروس المبجلة بنظرهم .. ابنته ، لا يهتم برغباتها، فقد أبعدها عن محمد بحجة المحافظة عليها من الذئاب البشرية التي تحوم حول ذات الرداء الأحمر أروى، ولكنه في الأساس كان يخطط لتلك الصفقة التي يعقدها مع أخيه، فمنذ البداية وهو ينوي هذا الارتباط، والآن يساعده حجاج ليبرز نواياه وما خفي بصدر فتحي.

فتجيب على كلام عمها بوجه مرتبك وأفكار متضاربة ساخطة تحاول إخفائها بابتسامة في الغالب ساخرة لا يفهمها سوى من عرف أروى عن قرب:

- أكيد طبعا يا عمي .. طيب أنا هستأذن بقى.

ثم تهم بالخروج متجهة لغرفتها ثم تغلق الباب خلفها لتنفرد بتلك الأفكار التي تتصادم بجدران رأسها، تحاول أن تستوعب تلك المخططات التي تدور حولها لتوقعها في شباكهم.

حجاج وهو ما زال مع أخيه بغرفة الصالون بعد أن تركتهم أروى وغادرت لغرفتها:

- آه صحيح يا فتحي، أنا جبتلك مفتاح الشقة معايا .. هو أنت مسافر امتى بالظبط؟

- يوم الجمعة إن شاء الله بعد الصلاة هسافر.

- طيب المفتاح أهو وتوصل بالسلامة يا أخويا.

وهو يمد يده بمفتاح الشقة ليعطيه لفتحي، فينهض فتحي ليلتقطه منه وهو يجيبه:

- الله يسلمك يا حجاج.

بينما أروى تنعزل بغرفتها فتخرج صورة محمد التي خبأتها في أحد أرفف ملابسها والتي ما تزال محتفظة بها، لم تستطع التخلص منها أو محوه من حياتها كليا، دوما تلجأ لها وكأنها الشيء الوحيد المتبقي لها منه، ذلك الشخص الذي طعنته بقرارها في آخر مقابلة بينهم، قرار غير قابل للنقاش فيه .. حكم بالإعدام على علاقتهما، ولم تستطع أن تنقض هذا الحكم

ورضخت له راكعة وأجبرته هو الآخر للخضوع والاستسلام لرغبتها .. لا يستطيع الاعتراض.

تتأمل أروى ملامحه في الصورة التي لم تغب عن ذاكرتها قط، تحكي له كل شيء عن حياتها كما اعتادت معه أن تحكي تفاصيل حياتها.

تمسك بصورته وهي تسرح في نظرة عينيه .. تسرد له كل ما في قلبها .. ويظهر على الصورة بقع صفراء خفيفة اللون من آثار دموعها في كل لحظة، يسكنها الحزن وهي تحكي له عن ما أحزنها ولطالما كان الحزن زائرها الدائم منذ أن تركت محمد.

فتخبر محمد بأنها ستسافر في الأيام المقبلة إلى الأسكندرية لقضاء الإجازة الصيفية، وتلك الشباك التي ينصبها لها والدها ومخططاته مع أخيه حول مستقبلها .. تلك الحفرة التي ينوون إلقاءَها بها لتجد نفسها تقضي باقي حياتها مع ذلك الخالد.

تروي له ندمها على قرارها في الابتعاد عنه وخضوعها وضعفها أمام إرادة والدها، ثم تنظر له نظرة حاسمة جادة وتمسح دموعها التي تجري على خديها وكأنها عقدت عزمها على أمر ما، تاركة وراءَها كل الوعود والقرارات.

يجلس محمد على أحد كراسي القطار ناظرا إلى الطريق من خلال زجاج الشباك بجواره، متوجها إلى الأسكندرية ليمكث

كعادته في منزل جده لقضاء الإجازة الصيفية هناك، والذي اعتاد زيارته كل عام بعد انتهاء السنة الدراسية لتصبح الأسكندرية بلده الثاني.

يراقب محمد الطريق حوله بصمت قاتل وعقل فارغ ووجه عابس نسي شكل الابتسامة منذ أن أصبحت حياته بلا أروى، يراقب درجة الحرارة وزيادة الرطوبة كلما اقترب من الأسكندرية ليزداد عرق جسده اللزج، وكأنه عسل أبيض مملح ينزلق على جسده.

تجلس والدته على الكرسي المجاور له، وهي تنظر له في حزن على ما أصابه من بؤس تجهل أسبابه، متمنية من تلك الزيارة أن تساعده على أن يستعيد ابتسامته التي فقدها منذ فترة دون أن تعرف السبب، فكلما حاولت التقرب منه والتحدث معه عن أسباب حزنه الدائم لم يلقِ لها بأعذار مقنعة، فكلها أعذار سخيفة غير مقنعة مثل أنه على خلاف مع أصدقائه في المدرسة والذي انعزل عنهم ولم يعد يقابلهم، فكلما أتى أحد منهم لزيارته يخبر والدته بأن تخبر صديقه بأي عذر حتى لا يكرر زيارته مرة أخرى.

يصل محمد إلى منزل جده المطل على البحر ليمكث هناك بداخل غرفته منتظرا ذلك الوقت المناسب الذي ينوي به

الخروج ليجلس على شاطئ البحر، ذلك الوقت الذي لا يوجد به الكثير من الناس على الشاطئ ليستمتع بصحبة البحر على انفراد، لا أحد يشاركه تلك المتعة.

تنازع الشمس غيوم السماء لتخرج من بينها، ولون الغيوم الزرقاء الفاتحة ينعكس على مياه البحر ذات الأمواج الهادئة، التي تتحطم على شاطئ الرمال الناعمة.

تسير أروى بقدمها الحافية على الرمال الناعمة وهي تحمل حذاءَها بيدها .. تستمتع بنسيم الهواء البارد ومنظر سطوع الشمس .. ترتدي فستانا أبيض اللون تاركة شعرها يتطاير في الهواء، تسرح في أمواج البحر .. تحكي له كل ما بداخلها من حزن وكأن أمواجه ستغسل حزنها، وتنقي قلبها من تلك الرواسب السوداء، التي ترسبت داخلها من آثار الصدمات التي مرت بها في السنوات الأخيرة.

لحظات لتتوقف أروى .. تتمسمر قدمها بالأرض رافضة إشارة المخ لها بالتحرك، تنظر أروى أمامها في ذهول لتجد محمد يقف من بعيد ناظرا إلى شاطئ البحر، ذلك الوجه الذي تمنت رؤيته .. حرمت منه قهرا وجبرا، ذلك القرار الخارجي الذي أجبرها، ووعدها الداخلي الذي قهرها حتى انهارت قواها ورفعت الراية البيضاء، راية الاستسلام وابتعدت عنه.

صراع يدور بين عقلها وقلبها معا، هل تذهب له؟ هل تتحدث معه أم لا؟ ثم يأتي بذاكرتها نوايا والدها لها الخفية التي ستسحق حياتها نهائيا، تلك الخطة التي يشاركها مع عمها، ثم تتذكر أنها عزمت أمرها قبل أن تسافر، على أن تنتهز أول فرصة ترى بوجهها محمد أن تعتذر له على ما أحدثته له من جرح كبير، متمنية تلك اللحظة التي ستراه فيها لعله يقبل عذرها ويسامحها.

وكأن خطة والدها هي الضربة القاضية التي أسقطت عقلها وقضت عليه بعد صراع عنيف وطويل بينه وبين قلبها .. لينتصر قلبها ويمسك بزمام الأمور ويصبح هو المتحكم في كل شيء.

تستجمع أروى قواها وتحاول استعادة تركيزها الذي سيطر عليه الذهول .. تحاول رفع صوتها وهي تنطق باسمه في تردد شديد لعله يسمع نداءَها.

أروى وقد علا صوتها:

- محمد.

تدوي نغمة نداء أروى لاسمه في أذن محمد، النغمة التي عشقها وكأنه يتخيلها من كثرة التفكير بها وسيطرتها على حياته وكأنها تملكته بكل معنى الكلمة، وكأن ذلك الصوت يأتي من أوهام عقله، فينظر حوله متمنيا أن تكون تلك الأوهام حقيقية.

فيجد أروى تنظر له من بعيد، فيظهر على وجهه الصدمة والاندهاش بعد أن تأكد من أن أوهامه حقيقية في تلك المرة، فيلتف بظهره إلى الجهة الأخرى، وقد أعطى ظهره لها وهو لا يدري ماذا يفعل؟

هل يذهب ليلبي نداءَها أم يتجاهله ويذهب؟ وكيف سيترك تلك الفرصة لرؤيتها، الفرصة التي طالما كان يتمناها ولو لثوانٍ؟ يحاول أن يمنع نفسه وبشدة من النظر إليها، لكنه كم انتظر من الوقت لهذا اللقاء ولو صدفه مثل هذه، وها قد أتت الصدفة فهل يستغلها أم لا؟ كم يرغب محمد في النظر إليها مرة أخرى لرؤية تلك الملامح التي يشتاق لها وبشدة، الملامح التي افتقد كل شيء بها.

فتنادي أروى مرة أخرى:

- استنى يا محمد.

فيثبت محمد في مكانه، لتتجه أروى نحوه في خطوات يسيطر عليها التردد والخوف من العودة بحسرة أخرى رافضا أن يسامحها، لكن تلك الخطوات تزداد سرعة كلما توجهت نحوه وكأنهما قطبان، أحدهما شمالي والآخر جنوبي لمغناطيس، ينجذبان لبعضهما البعض .. متجهة نحوه بعد أن تركت لقلبها

السيطرة الكاملة، بينما يلتف محمد ناظرا لها وهو ثابت في مكانه محاولا استيعاب الموقف.

فتصل إليه أروى وهي تنظر بعينيه في صمت تام ثم تجذبه من يده متجهة به إلى الشاطئ وهوصامت لا ينبس بكلمة، مذهول .. ثم يجلسان بجوار بعضهما البعض، ناظرين للأمواج فوق الرمال.

ينظر محمد إلى البحر وقد تغلب عليه الصمت، فتنظر له أروى لتجد ذلك الجسد الساكن بجوارها لا يتحرك .. ولا يتكلم، فماذا سيقول؟ .. ذلك وقتها هي لتبرر موقفها، لكنها هي الأخرى عاجزة عن النطق .. فتعيد بصرها لتنظر إلى الشاطئ هي الأخرى، فيقطع محمد ذلك الصمت بسهم يخترق صدرها، اعتراف لم يستطع أن يخبرها به:

محمد:

- على فكرة أنا بحبك.

فتصطدم الكلمة بقلب أروى الذي عشق محمد دون أن يدري، ورفض أن يخرجه من داخله رغم محاولاتها الفاشلة.

فتنهمر أروى في البكاء ويتبعها محمد لتجري دموعهما كأمواج البحر الجالسين أمامه، لتغسل كل الأحزان التي تسكنهم، والتي

أصابتهم .. تلك الذكريات الأليمة التي مروا بها منذ أن قررت أروى الخضوع لقرار والدها.

لحظات من البكاء الشديد استغرقاها ليهدأ من بعدها نحيبهما ثم تنظر أروى له بأعين طغى عليها الاحمرار ..

- أنا آسفة، أنا بس ....

فيقطع محمد حديثها واضعا يده على شفتيها .. فتندهش أروى:

- مش عايز أسمع أي حاجة عن الفترة اللي عدت.

فتبعد أروى أصابعه عن شفتيها.

- بس أنا لازم أكلمك في اللي عدا علشان تسامحني.

- ولو سامحتك هتسيبيني تاني بردو؟

- زي ما أنا وعدت بابا وحافظت على وعدي معاه لحد آخر لحظة .. بوعدك إني مش هسيبك طول ما أنا عايشة.

- مهما حصل؟

فتلقي أروى نظرة عليه مليئة بالشوق والحنين مجيبة:

- مهما حصل يا محمد.

- يبقى أنا مسامحك .. ومش عايز نتكلم في اللي عدا طول حياتي معاكي.

فتبتسم أروى بسعادة شديدة تغمر كل جسدها وتعود الابتسامة المفقودة إلى وجهها مرة أخرى .. فيرفع محمد ذراعيه ويحيطها بهما ليضم رأسها إلى صدره ويقبل جبينها، فيسمع صوت أروى الناعم وهي تقول له:

- أنا كمان اكتشفت إني بحبك.

وكأن البحر يرسل له من أعماقه روح محمد المفقودة منذ فقده لأروى، يرسلها مع أمواجه .. فيستعيد محمد روحه مرة أخرى، ويعود النبض لقلبه الساكن .. ليصبح ينبض بالحياة.

❁❁

الجامعة

أيقن كلٌ منهما مدى عِشقه للآخر، وأن الصداقة قد تخلل من بينها الحب ليطغى على علاقتهما معا، ويرسم لهما ملامح أخرى للعلاقة.

تجري أروى مسرعة متجهة إلى مدرستها في يوم إعلان نتيجة الثانوية العامة، ذلك اليوم المنشود الذي ينتظره كثير من الآباء والأمهات وأحيانا الأبناء أنفسهم، فمنهم من يسعده ذلك اليوم ومنهم من يترك في نفسه شرخا لا يمحوه الزمن، يُعلِّق عليه فشله في باقي حياته.

تسرع أروى لتعرف نتيجة حصاد هذا العام السعيد، حيث استطاعت فيه أن تستعيد روحها مرة أخرى، بعد أن سلبته منها القرارات الخاطئة .. لتجد محمد يقف بجوار اللوحة الخشبية المستطيلة، والمعلق عليها بيانات الطلاب الناجحين ودرجاتهم، وقد بدا على وجهه السعادة والفرحة تغمر قلبه، فيجد أروى تجري نحوه في ترقب شديد لمعرفة النتيجة، فيهم نحوها ويمسك بيدها في فرحة شديدة، بينما هي تلتقط أنفاسها بارتباك وقلق:

- ألف مبروك يا أروى .. إنتي نجحتي.

أروى تنظر له بدهشة وفرحة:

- بجد!! طب كام .. ها .. كام.

- 86%

يخترق الحزن ملامح وجهها السعيدة ليطغى عليه.

- آه .. طب الحمد لله.

ثم تعود الحماسة لنبرتها مرة أخرى.

- طب وأنت عملت إيه؟!

- أنا جبت 90%

فتطلق أروى شرارة غيظ من عينها:

- يعني كسبت التحدي!

محمد بمرح ممزوج بروح المنتصر في المعركة الدامية، وكأنه قتل ما يقرب من نصف جيش العدو بسهم واحد أطلقه من قوسه.

- آه طبعا .. إنتي عارفة من الأول إني هكسب التحدي ده.

فتلكمه أروى لكمة خفيفة في كتفه بصعوبة يكاد يشعر بها بيدها الناعمة لتشعره بغيظها منه .. ثم تنظر له مبتسمة:

- مش مهم مين اللي كسب .. أنا وأنت واحد .. ولا إيه؟

بنبرة هادئة مذيبة للأعصاب ونظرة هائمة بملامحها يجيبها محمد:

- أنا بحبك.

تلك الكلمة التي تذيب الصخور ، صدمة لكن سعيدة تشعرها بفرح وارتباك ، وكأنها ابتلعت قطعة ثلج، فتجمد الدم بداخلها ، طغى اللون الأحمر على وجهها ويزداد على وجنتيها، تشعر بالخجل فتشيح بنظرها لتسقطه أرضا، محاولة أن تخفي كسوفها واحمرار وجهها، لعله يجهل ملاحظتها، ثم ترفع أعينها بوجهه، وهي تحاول تغيير مسار الكلام لتخفي نظرة الخجل التي تملأ وجهها:

- طب هنحتفل إزاي بقى بالنجاح ده؟

فيبتسم محمد بعد أن أدرك كسوفها، وكم أنها تعشق الهروب من تلك اللحظات لتخفي خجلها، فيجاريها في مسارها الجديد ليساعدها على تخطي تلك اللحظة، على الرغم من عشقه لتلك الملامح الخجولة.

- إنتي نفسك في إيه.

وكأنه جني خرج من مصباح علاء الدين ليحقق أحلامها وأوامرها.

- نفسي آكل أيس كريم.

- طب يلا بينا ناكل أيس كريم.

تنقضي الأيام سريعا وأروى في انتظار إعلان نتيجة التنسيق .. متمنية من الله أن يجمعها بمحمد ليصبحا في مكان واحد، ولكن شاء القدر أن يكونا في جامعة واحدة وهي نفس جامعة ابن عمها حجاج "الخالد"، لكنها هي ستلتحق بكلية التجارة بينما محمد سيلتحق بكلية تجارة إنجليزي، ولكن يطمئن قلبها قليلا عندما تعلم أن صديقتها الوحيدة شيماء سوف تكون معه في نفس الكلية، وبذلك ستكون شيماء هي حجتها في رؤية محمد دون أن يلاحظ أحد.

أول يوم في الجامعة، بداية جديدة في مرحلة ترسم مستقبلك المهني القادم، تقف أروى أمام بوابة الجامعة، مرتدية شميز زهري وبنطلون جينز وقد جمعت شعرها على شكل ديل حصان .. تحمل بيدها كشكولا لتدون بها محاضراتها .. تتقدم أروى بخطوات يملأها الحماس لتخترق البوابة فـي اتجاه كليتها لتبدأ مرحلة جديدة في حياتها مع محمد.

تنظر أروى حولها باحثة عن محمد، فتجده يقف بجوار شيماء في انتظارها، فيلوح لها بيده ليعلمها بمكانه فتذهب هي في اتجاههما.

أروى:

- صباح الخير.

محمد وشيماء في صوت واحد:

- صباح النور.

- أنتم من بدرى هنا.

شيماء:

- آه.

محمد:

- إنتي اتأخرتي كده ليه.

أروى:

- المواصلات .. ما أنت عارف.

شيماء:

- طب مش يلا بقى .. عاوزين نعرف جدول المحاضرات.

أروى:

- أوك.

ليذهبوا لمعرفة جداول محاضراتهم.

تمر الأيام على محمد وأروى وهي تزيد من ارتباطهما وحبهما المتبادل، يقضيان يومهما الدراسي معا وتشاركهما دوما شيماء

وأحيانا مدحت الذي التحق بكلية الإعلام بعد أن أصبح صديقا لهم بحكم ارتباطه بشيماء.

بعد أن انتهى الدكتور من شرح محاضرته، تخرج أروى من قاعة المحاضرات مسرعة، لتلحق بمحمد الذي ينتظرها خارجا، فتفاجأ بخالد يقف منتظرا بجوار القاعة، فتندهش أروى من وجوده رغم أنها توقعته دوما منذ أن علمت بأنه في نفس جامعتها:

- خالد!

- إزيك يا أروى.

- الحمد لله يا خالد .. أنت بتعمل إيه هنا؟

- جاي أشوفك .. أنا عرفت من عمي أنك في كلية تجارة وسألت لحد ما عرفت مكان محاضراتك .. فحبيت أشوفك .. وبعدين عمي وصاني عليكي .. وقال لازم آخد بالي منك.

بينما أروى يغلب عليها الملل من حديثه معها، فتلمح شيماء خلفه تلوح لها، فتنظر له في عجلة:

- طب يا خالد أنا مضطرة أمشي علشان صاحبتي مستنياني .. عايز مني أي حاجة؟

فيُصدم خالد من تلك النبرة غير المتوقعة وطريقة استقبالها له، التي بدا عليها عدم الاهتمام والفتور القاتل، وكأن انسال على رأسه ماء بارد.

- لا .. شكرا.

- أوك .. سلام.

- سلام.

بذلك ينتهي لقاؤه الأول بأروى وهو في ذهول تام من برودة هذا اللقاء، لتذهب أروى مسرعة إلى شيماء ثم تتذكر ذلك الكائن المُهمَل خلفها، فتعيد نظرها له مرة أخرى وهي تستطرد كلماتها مبتسمة له:

- آه صحيح يا خالد .. ابقى سلملي على عمي.

ثم تنصرف وهو ما زال ثابتا في مكانه لم يتحرك، يحاول إدراك الموقف.

فتستقبلها شيماء بلهفة وترقب شديدين، لمعرفة إجابة ذلك السؤال الذي يدور بخاطرها الآن بخصوص ذلك الوجه الجديد:

- مين ده .. ها؟

- تقصدي مين؟

- اللي كنتي واقفة معاه ده.

- آه، تقصدي خالد .. ده يا ستي خالد ابن عمي اللي في كلية هندسة .. اللي أنا حكيتلك عليه.

- آآآآآآآآآآآآه ... هو ده عريس الغفلة؟

- مع الأسف.

فترد شيماء بنبرة سخرية:

- ده شكله يضحك أوي.

محمد قادم في اتجاههما وهو يمسك بيده كيسا ملئ بالساندوتشات ذهب ليجلبها من كافتيريا الجامعة، تاركا شيماء منتظرة خروج أروى من محاضرتها، فتخترق آخر جملة تنطق بها شيماء أذنه:

محمد:

- هو مين ده اللي شكله يضحك؟

أروى:

- أنت جيت من غير الأكل ولا إيه؟

فيرفع محمد ما بيده لتراه أروى وتطمئن على مستقبل معدتها.

محمد:

- أهو الأكل .. بس أعرف الأول أنتم بتتكلموا عن مين؟

فتجيبه شيماء بفتور لعدم أهمية الموضوع:

- واحد .. اسمه خالد يا سيدي .. خلاص ارتاحت.

فيلتفت محمد لأروى بدهشة من ذلك الاسم الذي أول مرة يقع بأذنه.

محمد:

- مين خالد؟

أروى:

- ابن عمي.

محمد:

- نعم! وده إيه اللي جابه هنا؟

أروى:

- الظاهر إنه سأل بابا عني .. فقال إني في الكلية هنا وقال على مكاني.

بنظرة غضب ونبرة حادة:

محمد:

- وكان عايز إيه سيادته؟

بينما أروى تقابل غضبه بهدوء تام كصخرة لم تهزها رياح.

أروى:

- عادي، كان عايز يشوفني .. وبيقول بقى بابا وصاه عليا .. وكلام كتير مش فاكراه.

فألقت أروى بكلماتها قطرات وقود على نيران الغيرة الخامدة بداخل محمد لتشتعل وتتزايد ألسنتها.

محمد:

- وإنتي هتسمحي له يكون واصي عليكي بقى في الكلية ولا إيه؟

- أكيد طبعا لا .. أنت عارف أنه كلام.

- طب ممكن متتكلميش معاه تاني؟

وهو يحاول أن يصم أذنيه لأنه يعلم جواب طلبه الذي سيقابل بالرفض ولكن الأمر يستحق المحاولة لعلها تنجح.

أروى:

- أنت عارف أنه مينفعش.

تأكد من فشل محاولته الفاشلة فعليا مسبقا، فتزداد نيران الغضب بداخله.

محمد:

- يعني إيه مينفعش؟

فتخترق شيماء ذلك النقاش الحاد محاولة تهدئة تلك المشاحنات في حوارهما:

- في إيه يا جماعة؟ ما تصلوا على النبي كده.

أروى:

- إنتي شايفة بيكلمني إزاي؟

محمد:

- يعني عاجبك اللي حصل؟

شيماء:

- خلاص بقى اهدوا .. الموضوع مش مستاهل.

محمد:

- عموما يلا بينا من هنا .. وقد ظهر عليه الخجل من سوء تصرفه تجاه أروى .. وأنا آسف يا أروى.

فتجذب شيماء كيس الساندوتشات من يد محمد وتفتحه في عجلة من سوء حالة الجوع التي تسيطر عليها:

- اتصالحوا أنتم بقى براحتكم .. وسيبوني آكل أنا الساندوتشات.

فتتغير ملامح أروى الحزينة لتخرج منها ضحكة على جملة شيماء الأخيرة، فيتبعها محمد بضحكة بعد أن اطمأن بأن أروى قد استعادت ضحكتها، وزال الحزن من على وجهها.

بينما غادر خالد بخيبة الرجاء بعد أن وجدها تقف بصحبة صديقتها قبل قدوم محمد، وقد ملأ قلبه الحزن جراء تلك المقابلة التي وجد بها عدم اهتمام عكس ما توقع، فهو لم يشعر بسعادتها لمقابلته كما هو شعر عند رؤيتها.

يجلس خالد على كرسي من الخشب وأمامه منضدة خشبية نُحتت عليها كثير من الأسماء والذكريات والحروف عربية وإنجليزية، رسومات لقلوب وأسهم ولو أنهم عرفوا طريقة نحت كيوبيد

الحب لكان من ضمن تلك الرسومات، يجلس خالد على تلك المنضدة بداخل غرفته بالمدينة الجامعية التي يسكن بها طيلة فترة دراسته في القاهرة، يقلب بصفحات كتاب موضوع أمامه وبيده قلم خشبي بداخله اسطوانة مصمتة رفيعة من الرصاص، يحدد به الأجزاء المهمة بداخل الكتاب والتي تستحق عناء المذاكرة، بينما هو منهمك في المذاكرة يدخل عليه صديقاه بالغرفة محمود وعصام، أصحاب الأجساد المليئة بالعضلات، أنصار الجيم والجيل والسهرات وخفة الدم والبنات، يعرفون أماكن المحاضرات في آخر محاضرة، تلك المحاضرة التي تشمل تحديد ما هو محذوف وما هو مقرر، يلجأون لخالد ذلك الدحيح ليساعدهم في تخطي إهمالهم طيلة السنة للدراسة.

يسحب محمود كرسيا ليجلس في مواجهة خالد بينما عصام يقف بجوار خالد ..

عصام:

- أنت إيه يا ابني مبتزهقش؟

خالد:

- أزهق من إيه؟

عصام:

- المذاكرة طبعا.

ثم يتحرك عصام ليجلس على طرف سريره المواجه لخالد، بينما خالد يخلع ذلك الكوب الزجاجي الموضوع على عينيه ليضعه على المنضدة ناظرا لعصام.

خالد:

- لا مبزهقش.

محمود:

- طب ما تيجي تخرج معانا؟

خالد:

- رايحين فين؟

محمود:

- خروجة حلوة كده .. مع بنات عرفناهم في الجامعة وظبطنا معاهم.

فيرتبك خالد عند سماع كلمة "بنات" فهو لم يعتد على ذلك النوع من الخروجات، فأقصى حوار يجمعه مع بنت يختصر في ثلاث كلمات "ممكن كشكول محاضراتك".

خالد:

- لا يا عم، أنا هذاكر.

عصام:

- تذاكر إيه بس! بقول بنات .. وحلوة كمان.

خالد:

- أنا مليش في النوع ده من الخروجات.

محمود:

- الظاهر كده إنك ملكش في أي حاجة خالص.

فينظر عصام لمحمود نظرة خبث وبنبرة استهزاء، وربما استفزاز قائلا:

- سيبه يا محمود .. يمكن عادات الصعايدة كده، مش قولتلك قفل يا ابني ..

فيرفع محمود حاجبه الأيمن ليزيد الموقف استفزازا وإثارة:

- أو يمكن مبيعرفش!

فيشعر خالد بغضب بسبب كلماتهم الحادة التي تمس أماكن يمنع المساس بها، خاصة في العرق الصعيدي، فتلك منطقة أعراض ملغمة.

خالد:

- تقصد إيه يا محمود؟

عصام:

ما هو من ساعة ما عرفناك في الكلية دي وأنت مش بتعمل حاجة في حياتك غير المذاكرة وبس .. عمرنا ما

شوفناك بتحب .. بتصاحب .. بتتسلى .. اوعى يكون ليك في الخشن؟

محمود:

- لا أنا كده هبدأ أقلق منك يا خالد.

فتملأ خالد روح الغضب الممزوج بالتحدي ليثبت لهم عكس رؤيتهم، ثم يهم كالفأر الشجاع الذي قبل تحدي أصدقائه الفئران في استفزاز الأسد.

خالد:

- طب نتقابل بكره بعد المحاضرات عند كلية تجارة .. وهتعرفوا ساعتها إذا كنت بعرف وليا في الناعم ولا لا، ده احنا صعايدة يابا وجامدين كمان.

فيهلل كلٌ من محمود وعاصم في صوت واحد:

- هنشوف.

تقف أروى ومحمد بصحبة شيماء ومدحت يتحدثون ويتبادلون الضحكات خارج مبنى كلية التجارة، ثم يتركهم مدحت ذاهبا لمحاضرته بعد أن ودعهم واتفق مع شيماء بأن تنتظره حتى ينتهي من محاضرته ويغادرا معا، فتجد أروى خالد قادما في اتجاههم وهو يرتدي لبسه المعتاد الذي لا يتغير بتغير الموضة، الذي لا يدل سوى على ذوقه القديم وعشقه لل"old fashion"

وتسريحة شعره التي انتهت بانتهاء حرب أكتوبر فهو متأثر جدا بزمن الفن الجميل وانحسر في هذه الحقبة الزمنية ولم يخرج منها بعد.

فترتبك أروى لظهوره لحظات ثم تحاول أن تزيل ذلك الارتباك وتتماسك، فليس لديها حل سوى المواجهة حتى لا يلاحظ عليها شيئا.

- إزيك يا خالد؟

- الحمد لله وإنتي؟

- الحمد لله .. أحب أعرفك .. دي صاحبتي شيماء وده محمد زميل شيماء في الكلية.

فهي لم تجد طريقة أفضل لتقديم محمد بها حتى لا يكتشف أمرها، وتصل أخبارها لوالدها فتتأزم الأمور أكثر بحياتها.

يرمق خالد محمد بنظرة مشمئزة ثم يعود لأروى غير مبالٍ بشيماء.

- عايزك لوحدنا.

ويبتعد خالد تتبعه أروى وهي تنظر لمحمد الذي ظهر عليه علامات الغضب ورائحة الشياط، فتحاول تهدئته بنظرتها الحانية حتى لا يحدث مشكلة فيتفهم محمد نظرتها مانعا نفسه من الخوض في مشادة مع خالد.

- أيوه يا خالد .. خير؟

- مين الولد ده؟

- قولتلك زميل شيماء!

- وإنتي واقفة معاه ليه؟

- عادي صدفة .. كان بيدور على شيماء ولقاها واقفة معايا بالصدفة .. فوقف معانا.

- إنتي عارفة إن عمي وصاني عليكي؟

- آه ... عارفة.

فيعقد خالد حاجبيه بحزم:

- طب ملكيش دعوة بالولد ده تاني .. ويلا علشان أوصلك.

- ملوش لازمة .. أنا أعرف أروح لوحدي.

- لا .. لا .. لازم أوصلك.

فتغتاظ أروى من ذلك المتطفل ناظرة لمحمد وشيماء بتأفف وتعود لهما وهي تجز على أسنانها:

- طب يلا بقى يا شيماء .. أنا هروح.

فتجد محمد قد وصل لقمة غضبه فتلقي بكلماتها محاولة تهدئة الموقف:

- هكلمك بعدين يا شيماء وأشرحلك كل حاجة.

موجهة كلامها لمحمد ولكن عن طريق شيماء التي أصبحت الكوبري في تلك اللحظة حتى لا تحدث مشكلة مع خالد أو أن يخبر والدها بأي شيء فاضطرت أن تتفادى الصدام مع خالد بقبول توصيلته، والصدام مع والدها بتجاهل محمد حتى لا يصل اسمه لفتحي.

فيهدأ محمد قليلا بعد أن فهم مغزى كلمات أروى، بينما محمود وعصام يراقبون المشهد من بعيد، مندهشين من خالد وأنه ليس كما ظنوا بعد أن أعجبوا بتلك الفتاة التي يقف معها.

عصام:

- صحيح اللي تحسبه موسى ....

محمود:

- يطلع فرعون يا صاحبي.

عصام:

- لا ومش أي فرعون .. ده فرعون أوي كمان.

تجلس أروى بجوار محمد على سلم مبنى كلية التجارة، يتحدثان عن ذلك المتطفل الذي اقتحم حياتها بكارنيه نقابة العائلة الذي هو من أعضائها الموقرين.

- وهفضل مستحمل خالد ده لحد امتى؟

- معلش لازم نصبر علشان ميعملناش مشكلة.

- أصبر أكتر من كده إيه! ده احنا ما بقيناش بنشوف بعض زي الأول .. وبلاقيه دايما جايلك هنا.

- احنا مضطرين نستحمله علشان أعرف أحافظ على وعدي ليك من غير مشاكل مع بابا.

تسمع أروى نداء بجوارها .. صوت لشخص بدأت تعتاد على نبرته في الفترة الأخيرة، فقد وصل خالد إليها دون أن تشعر، فسمعت نداءَه الذي قاطع حديثها مع محمد.

- أروى ى ى ى ى ى.

فتنهض أروى في ارتباك من جوار محمد ، بينما خالد ينظر لمحمد:

- إيه ! جاي يسأل على شيماء بردو ! ولا إيه؟

فتجيبه أروى في ارتباك:

- ده احنا كناااااااااااا ..

فيقاطعها خالد:

- كنتم إيه بقى فهميني؟ أنا أصلا قلبي حاسس إن الحوار مش إنه بيسأل على شيماء .. ده في حاجات تانية.

- أنت جاي ليه أصلا؟!

- جاي علشان أعرفك على حقيقتك وأكتشف كدبتك.

فتجمع أروى كتبها وتحمل حقيبتها لتستعد للمغادرة، تاركة خالد خلفها، فيجري خالد ليلحقها وقد أمسك بيدها ليستوقفها ويتبعه محمد الذي قد وصل لأقصى درجات الصبر والتحمل مع ذلك الكائن السخيف.

- سيب إيدي يا خالد.

- رايحة فين؟

- وأنت مالك!

فيتدخل محمد بعد أن فقد السيطرة على غضبه:

- قالتلك سيب إيدي .. ولا أنت مبتسمعش؟

- وأنت دخلك إيه، أنت أصلا بتتكلم معاها بصفتك إيه؟ واحدة وابن عمها .. أمسك إيدها براحتي .. وبعدين دي بعد الكلية هتبقى مراتي.

فيبعد محمد يده عنها بالقوة وهو ينظر لأروى باندهاش مما سمعه:

- يعني إيه؟

- يعني اللي سمعته .. ومش عايز أشوفك واقف معاها تاني.

بينما أروى مصعوقة من تلك الكلمات لا تدري ماذا تقول؟ وعن ماذا يتحدث خالد؟ وقعت الكلمات على أذنها كوقع صخرة على جمجمتها أفقدتها النطق.

محمد:

- أروى اللي أنا بسمعه ده حقيقي؟!

فتخرج الدموع من عين أروى لتعبر عن صدمتها:

- أنا مش فاهمة أي حاجة!

بينما خالد يسحب أروى من ذراعها خلفه وهو يتمتم:

- أنا ليا كلام تاني مع عمي.

فيبعده محمد مرة أخرى عن أروى وهو يجمع قبضته ليضع على وجهه لكمة قاسية أسقطت نظارة خالد لتنكسر عدستها يتبعها خالد الذي أُلقى على الأرض من أثر اللكمة، وأروى تقف في ذهول ودموعها تنسال على خديها واضعة يدها على فمها من أثر الصدمة.

ثم يغادر محمد تاركا أروى وخالد بعد أن أصابه الذهول من تلك المفاجأة غير المتوقعة، فهو يدري أن خالد هو ما يخطط له والد أروى لمستقبلها، لكنه لم يتوقع أن الخطة يجرى تنفيذها.

❁❁

زوج إجباري

طرقات متتابعة على باب شقة فتحي، يتبعها نغمة جرس طويلة، ويعلو معهما صوت خالد الذي بدا على وجهه آثار لكمة محمد له في احمرار على شفتيه، وهو يقبض على مرفق أروى بشدة وهي تبكي.

- افتح يا عمي الباب ... افتح الباب.

فتسمع سميرة والدة أروى صوت خالد خلف الباب فتسرع نحوه لفتحه ثم يتبعها فتحي خارجا من غرفة نومه، فيجدا خالد ممسكا بمرفق أروى بشدة ودموع أروى تنسال على وجنتيها، فيدخل خالد الشقة ويلقي بأروى بعيدا عنه لتسقط في حضن والدتها، فترفع سميرة وجه ابنتها المدفون بحضنها في فزع لترى ماذا حل بها، باحثة في وجهها عن أي آثار لضرب أو حادث، فهي لا تدري ماذا حدث لها، فيرتفع صوت خالد قاطعا أفكار سميرة المتضاربة وحيرتها.

- اتفضلوا شوفوا بسبب الهانم أنا اتعمل فيا إيه!

ناظرا لملابسه ونظارته التي انكسرت بسبب لكمة محمد له، وهيئته التي ازدادت سوءًا بعد سقوطه.

فتحي بدهشة متسائلا:

- في إيه يا ابني؟ إيه اللي حصل بالظبط؟ ما تفهمني ..!

- الهانم رايحة الكلية علشان تمشي على حل شعرها!

سميرة تتجه بنظرها نحوه عاقدة حاجبيها وبصوت غاضب بعد أن ضاقت من طريقته غير المهذبة:

- أنت بتقول إيه؟ .. وتقصد إيه بكلامك ده؟

- الهانم تعرف واحد اسمه محمد في الكلية .. وكل ما أروحلها الكلية ألاقيه واقف معاها .. ويا عالم في إيه بينهم!

فيتردد اسم محمد في ذاكرة فتحي ليعود بذاكرته إلى أعوام مضت، فيتذكر حينها أنه سمع هذا الاسم من قبل، نعم فهو ذلك الشخص الذي كان في حياة أروى قبل وعد أروى لوالدها.

فيتجه فتحي بأرجل ثقيلة أثقلتها الصدمة لأروى الباكية في حضن والدتها وخطواته بطيئة:

- يعني إنتي كنتي بتستغفليني طول السنين دي!

كنتي بتضحكي عليا؟!!

فترفع أروى رأسها من صدر والدتها تريد أن تبرر موقفها لوالدها:

- لا والله يا بابا .. أنا فعلا كنت ملتزمة بوعدي مع حضرتك.

وهي تتحرك في اتجاه والدها بخطوات يملأها الخوف وعدم الاطمئنان من رد فعله.

فتحي:

- كنتي .. ؟!!

متسائلا ..

- وإيه بقى اللي اتغير؟

أروى تنظر له عاجزة عن النطق، لا يرغب الكلام في الخروج من جوفها، فهي تعرف جيدا إجابة سؤاله وكم ترغب وبشدة في أن تواجهه بذلك المخطط الذي يخطط له مع عمها منذ أعوام، ترغب في أن تجيبه بأنه هو السبب في عودتها لمحمد بعد أن علمت بنيته مع عمها، لكنها تمنع نفسها وكلماتها من الخروج حتى لا تزيد من النيران المشتعلة وتولد العند والتحدي مع والدها.

فتحي:

- ما تردي عليا! أنا غلطان إنى اتساهلت معاكي ووثقت فيكي .. كنت فاكرك محل ثقة ! بس احنا لسه فيها بردو وهعرف أصلح الغلطة دى.

اعتمد فتحي قراراته وتوجه بها ل"عريس الغفلة" خالد، في نبرة قوية واثقة من نفسها:

- خطوبتك على أروى الأسبوع اللي جاي، وأنا هبلغ حجاج بكده.

فتزداد صدمة أروى ومعها دموعها التي لا تنتهى لا تدري ماذا تفعل وهي تنظر لوالدتها لتجدها متسعة العينين من أثر الصدمة، بينما يشعر خالد بالفخر وتملأُه روح الانتصار، فهو من ظفر في نهاية المعركة، لا أحد غيره .. فينطق بجملة تزيده حماسة:

- أيوه كده يا عمي .. هو ده القرار الصح.

فينظر فتحي لأروى متوعدا لها:

- مش هي عايزة ارتباط؟ .. أنا بقى مش هحرمها من ده .. وهحققلها اللي هي عيزاه.

ويزداد بداخله التحدي والعند:

- ومن هنا ورايح أروى هتروح كليتها مع خالد .. هو هيوديكي ويرجعك .. ومفيش خروج لغير الكلية.

فتقع قرارات فتحي كأنها ضربات متتابعة على رأس أروى، فتزدوج الصورة بأعينها وتدور في عقلها وتسود تدريجيا حتى تفقد وعيها تماما وتسقط أرضا، بينما تسمع صوت والدتها المفزوع:

- أروى .. أروى ...

لحظات ليسكن الصوت ويهدأ ويذهب دون عودة.

يقف محمد أمام كلية الهندسة صباح اليوم التالي في انتظار منافسه وعدوة خالد بعد أن أخبرته شيماء بما حدث مع أروى ليلة أمس عندما أجرت مع سميرة اتصالا هاتفيا وأخبرتها سميرة بالأحداث.

يضرب قبضته اليمنى براحته اليسرى ويخطو ذهابا وإيابا في توتر وعلى وجهه احمرار غاضب ممزوج بقلق على أروى ومستقبله معها، لحظات ليجد خالد قادما من بعيد فيجري نحوه ويقف أمامه فيتوقف خالد وعلى وجهه نظارته بعد أن أصلح كسرها ليلة أمس، فينفخ صدره بسعادة لانتصاره على محمد وحصوله بالنهاية على أروى حتى لو كان ذلك ضد رغبتها، فالكلمة العليا لوالدها.

محمد في تحدي:

- أنت فاكر إنى هسمحلك تاخدها مني!

فيرد خالد بثقة:

- أنا أخدتها فعلا ..

- مش هتقدر .. ومش هسيبك.

- أنت اللي مش هتقدر تعمل أي حاجة .. ده قرار عمي واحنا معندناش بنات تعصي كلام أبوها.

- وأنت فاكر أنها هتوافق أصلا عليك؟!

- مش مهم رأيها، المهم رأي عمي، وهو وافق خلاص، وهى مش هتقدر تقول لا .. البنات عندنا ملهومش رأي.

فيزاد الغضب بنظرات محمد:

- أنا هعرف أبعدك عنها بطريقتي.

فتعلو ضحكة مليئة بالسخرية من خالد وهو يرد عليه بكلمات مليئة بالاستهزاء:

- لا بقى هو الصح إن أنت اللي هتبعد عنها مش أنا، ومش عايز أشوفك ولو صدفة في حياتي أنا وأروى ولو فكرت تظهر هنسفك.

- لا الظاهر أنت بتنسى بسرعة أوى، أنت صلحت النضارة ولا غيرتها؟

فيتذكر خالد لكمة محمد له بالأمس وما أصابه فيملأه الخجل، فيبعد نظره هاربا من نظرات محمد حتى لا يلاحظ خجله وهو يحاول استجماع قواه وكلماته، فيجيبه في خوف وتردد:

- بردو مش هتقدر تعمل حاجة.

فيرد محمد بثقة:

- لا .. هقدر.

رافعا قبضته مرة أخرى ليضعها في وجه خالد ليترك بوجهه لكمة ثانية، فيسقط خالد مرة أخرى أرضا ويتركه محمد ويرحل. يفتح محمد باب شقته فيلمح والدته فيلقي عليها كلمات التحية محاولا أن يخفي ملامح وجهه عنها حتى لا تلاحظ تغيرها.

- السلام عليكم.

- وعليكم السلام يا ابني.

وهي تقف متعجبة منه، بينما هو يهوى لغرفته وقد شعرت بعدم ارتياح في نبرة صوته وأنه أخفى وجهه عنها حتى لا تلاحظ ما به، فعلمت حينها أن هناك أمرا ما بينه وبين أروى، فهي على دراية بتلك الفتاة الموجودة في حياته منذ سنين، لكن لم تسنح لها الفرصة حتى الآن لرؤيتها ، كانت تعلم مدى تعلق محمد بها، فهي تلاحظ هذا من مدى قدرة أروى في التحكم به وبمشاعره،

فهي الوحيدة القادرة على إسعاده، وجالبة الحزن أحيانا لحياته، وكأن عالمه ارتبط كليا بها، فهي مفتاحه الوحيد.

يجلس محمد على حافة سريره في غرفة نومه، ممسكا بسماعة التليفون، يتصل بشيماء .. لحظات يخترق فيها صوت الرنين طبلة أذنه حتى يأتي صوت شيماء الرفيع.

- أيوه يا شيماء.

- أهلا يا محمد ... أخبارك إيه؟

فيتجاهل محمد سؤالها:

- أنا روحتله الكلية النهارده .. واتخانقت معاه.

- تاني يا محمد! .. أنا مش قولتلك بلاش أنت دلوقتي.

- يعني إيه؟ هفضل بعيد لحد امتى! لحد ما أشوفها في بيته!

- اهدا بس يا محمد .. وإن شاء الله هتتحل.

- فين الحل ده وهي بتضيع مني؟ !! أنا ليا سنين بحاول أحافظ على العلاقة دي علشان تفضل معايا، وفي الآخر يجي ابن عمها ياخدها بالبساطة دي؟! وكمان أنا مش قادر أعمل أي حاجة إحساس العجز هيموتني يا شيماء.

- متقلقش يا محمد .. سيب بس الأمور تهدى عندها شوية .. وإن شاء الله هنعرف نحلها.

- لما تكلميها ابقي طمنيني عليها .. وقوليلها إني عايز أشوفها بأي طريقة .. يا إما هروحلها البيت واللي يحصل يحصل .

- حاضر هبلغها .. بس أبوس إيدك .. خليك أنت بعيد اليومين دول .. وأنا هتصرف.

- ماشي .. سلام.

- سلام.

تضع شيماء السماعة من يدها بعد أن أنهت مكالمتها مع محمد وهي في حيرة من أمرها، لا تدري ماذا تفعل، وكيف ستساعد أروى ومحمد في هذه المشكلة، وإذ فجأة تطرق بذهنها فكرة فترفع السماعة مرة أُخرى وتضغط على أزراره لحظات ويأتي صوت مدحت.

- ألو ..

- إيه ده شيماء! اوعي تقولي إني وحشتك .. ده أنا لسه سايبك يا بنتي!

- هزر .. هزر.

- في حاجة ولا إيه؟! ما أنا عارفك مبتتصليش غير في المصايب.

وما زالت في نبرته روح المداعبة.

- مش وقتك خالص دلوقتي .. بلييييز ركز معايا.

- خير؟!

- محمد عايز يشوف أروى .. وأنا مش عارفة هساعده إزاي، وقال لو مشفهاش هيروحلها البيت، وأنا خايفة المشكلة توسع أكتر .. ده باباها على آخره أوي.

- طب وهتعملي إيه؟!

- أنا لو أعرف يا ذكي كنت اتصرفت، وهو أنا متصلة بيك ليه؟! عايزاك تفكر معايا في أي خطة تخلي محمد يقدر يشوف أروى.

يصمت مدحت برهة ثم يردد كلمة خطة مرارا وتكرارا باحثا في الصندوق الموضوع فوق أكتافه وبداخل أفكاره المزدحمة على حل.

- خطة .. خطة .. خطة .. خطة .. خطة .. أيوه لقيتها!

- إيه؟ قول بسرعة.

- قابليني بكره في الكلية .. وأنا هقولك تعملي إيه.

- أوك .. سلام.

- سلام.

تسير أروى بجوار خالد متجهين إلى الكلية وعلى وجهها نظرات عابسة رافضة لهذا الوضع، لكن لا حيلة لها غير

الخضوع ولو مؤقتا، لا تطيق النظر بوجهه، فقد أصرت على الذهاب للكلية بعد أن منعتها والدتها من الذهاب بالأمس لكي يطمئن قلبها على صحة ابنتها الوحيدة.

- احنا وصلنا الجامعة أهو .. ممكن بقى تسيبني أروح الكلية لوحدي؟!

- مينفعش .. أوامر عمي إني أوصلك لحد كليتك وأرجع أوصلك للبيت.

بينما أروى تنفخ زفيرها باستياء ، متمنية من الله أن يلهمها الصبر أو نيزكا يسقط على رأسه فيخسفه في سابع أرض.

ثوانٍ ويجد مدحت ذلك الثنائي غير المركب، خالد وأروى وهما ذاهبان في اتجاه كلية أروى، فيجري مدحت نحوهما فتلمحه أروى فيضع يده في حركة سريعة على فمه مشيرا لها بأن تصمت وأن تتصرف بتجاهل ولا تظهر أي علامه تدل على معرفتها به، ثم ينزل يده قبل أن يلاحظ خالد تلك الإشارة.

فيستوقف مدحت خالد بكلمات التحية:

- صباح الخير.

خالد بتعجب:

- صباح النور.

- هو حضرتك الباشمهندس خالد مش كده؟

- آه .. أنا الباشمهندس خالد .. مين حضرتك؟!!

- أنا زميلك من كلية إعلام، كنت عايز أعمل مع حضرتك حوار صحفي بعد ما عرفنا من زمايلك في الكلية مدى تفوقك الدراسي، وإنك الأول على دفعتك السنة اللي عدت .. وأنا حابب أعمل معاك لقاء وأعرف عنك شوية تفاصيل كده عن أسباب تفوقك ونصايح لزمايلك علشان يبقوا زيك، لأننا حابين بعد إذنك طبعا ننشرها عندنا في جريدة الكلية.

أحسن مدحت دور مندوبى المبيعات الذين يشرحون سلعهم ومزاياها خلال ثلاثين ثانية دون أن يترك للزبون فرصة للتفكير فيقنعه بشرائها، متجاهلا ذكر اسمه لزيادة الأمان.

فيُرسم على وجه خالد ابتسامة يملؤها الفخر فقد أصبح الآن قدوة للشباب .. فكيف لا يفتخر؟

- وصورتي هتنزل في الجريدة دي؟؟

- طبعا .. طبعا .. ده حاجة أكيدة.

فيذهب خالد مع مدحت تاركا خلفه ذلك الجسد الأنثوي المذهول دون حتى النظر لها أو استئذانها، وكأنها لم تكن .. غير موجودة من الأساس، وقد ألقى خلف ظهره أوامر عمه له .. فشهرته هي الأهم الآن من أي شيء آخر.

تظهر شيماء فجأة من العدم لتسحب يد أروى معها متجهة بها إلى كافيه بجوار الكلية حيث يجلس محمد هناك في انتظارها.

تجلس أروى وشيماء على المنضدة البلاستيكية ذات الأربع مقاعد والذي يجلس محمد على أحدهم في الكافيه، بينما محمد يخطف من أروى نظرات اشتياق ولهفة، فيمسك بيدها الموضوعة على المنضدة بشدة قائلا:

- إنتي فعلا ممكن تسيبيني؟!!

- أنت عارف إني مقدرش .. بس أعمل إيه يا محمد ؟! مضطره أقبل مؤقتا بالوضع ده.

- تقبلي إيه !! إنتي لازم ترفضي .. أنا مش هسيبك تروحي مني.

أروى ودموعها تملأ عينيها:

- أنا بجد يا محمد تعبانة .. ومش مستحملة.

- يعني إيه؟ هتستسلمي؟!

- أنا مقولتش كده .. بس بردو حط نفسك مكاني .. بابا مقفل دماغه أوي ده حتى مخدش رأيي في الجوازة دي.

فيلقي محمد يدها بغضب ..

- فين وعدك ليا؟ .. ها!

- أنا لو اعترضت بابا هيعند أكتر .. وبردو هيعمل اللي في دماغه ويجوّزهولي.

لتخترق شيماء الحوار كعادتها عندما يصل النقاش لحائط سد:

- يا جماعة احنا لازم نفكر في حل.

فيعم السكون بينهم، كل منهم يغوص في أفكاره لعله يجد شيئا نافعا أو حلا سحريا.

بينما مدحت في هذا الوقت ينفرد بخالد، يجلس خالد بجوار مدحت وبيد مدحت اليسرى مفكرة صغيرة يدون بها حواره مع خالد، بينما اليمنى تمسك بالقلم.

- أنا اتشرفت أوى بحواري معاك يا باشمهندس خالد .. وأتمنالك التوفيق دايما .. بس أنا كنت عايز بس شوية تفاصيل بسيطة من أصدقائك المقربين ليك في الكلية .. علشان حابب أضيف للمقالة علاقتك الطيبة معاهم طبعا ومدى حسن العلاقات بينك وبين زمايلك وأصدقائك.

- الصراحة أنا معرفش غير محمود وعصام، دول هما أعز أصدقائي.

- دول معاك في نفس الكلية؟ مش كده؟

- آه .. والسكن كمان.

- طب كده تمام أوي.

- طب والصورة بتاعتي.

- آه .. أنا أول ما أخلص المقالة هاجي أقابلك وآخد منك الصورة كمان.

- طب هستناك .. اوعى تتأخر!!!

فيبتسم مدحت بمكر من يخطط للفخ:

- أكيد طبعا.

ثم ينهض ويصافح خالد ويغادر، فيتذكر خالد أنه ترك أروى خلفه وغادر، فيذهب لها ليجدها منتظرة أمام الكلية في انتظاره بعد أن انتهت مقابلتها مع محمد دون جدوى.

الساعة العاشرة مساءً مدحت ينظر بساعته متجها إلى ملهى ليلي يدعى "سهرة" بعد أن علم أن أصدقاء خالد .. محمود وعصام يتوجدان به بشكل دائم كل ليلة.

يدخل مدحت الملهى بعد أن مر برجلين كحائط الخرسان على البوابة ليجدهم جالسين على البار، فيتجه نحوهم ساحبا مقعدا ليجلس بجوار محمود الجالس بجوار عصام وهو يلقي بأذنه تجاههما ليستمع إلى الحوار الذي يدور بينهم، بينما يميل عصام على محمود قائلا:

- محمود .. فاكر روز.

- روز مين يا ابني.

- يا ابني البت روز الأجنبية اللي قابلناها الأسبوع اللي عدى.

- آآآه بتفكرني ليه بس، ده أنا ما صدقت نسيتها يا أخي.

- وهي دي تتنسي بردو ! دي كانت حتة فرس .. فرس أصيل .. شكلها بطلت تيجي هنا.

ثم ينظر محمود بجواره لذلك الجسد الساكن على الكرسي، وبيده علبة صفيح من الاستيلا، وقد قطع حديثه مع عصام عن تلك الفتاة الأجنبية ليمعن النظر في ذلك الوجه الجديد.

محمود:

- أنت جديد هنا ولا إيه؟؟ أصل أنا أول مرة أشوفك في المكان ده!!!!

مدحت:

- آه ... أول مرة.

فيكسر مدحت جفون عينيه محاولا التدقيق في ملامح محمود ليرسل له انطباعا أن وجهه مألوف لدى لمدحت، وأنه رآه من قبل.

مدحت:

- هو أنا شوفتك قبل كده؟؟ مش أنت اسمك عصام؟

فيضحك محمود ضحكة عالية الصوت ثم يشير بسبابته إلى عصام قائلا:

- لا، ده عصام .. أنا محمود .. بس أنت تعرف عصام منين؟!

- أنا آسف أوي .. أصل أنا من يومين كنت في كلية هندسة بسأل على واحد زميلكم .. فقالولي إنكم أصحابه وشاورولي عليكم .. بس أنا اتلخبطت في أساميكم، معلش بقى اعذروني.

عصام بأنفاس برائحة الكحول:

- لا عادي ولا يهمك.

محمود:

- بس أنت كنت بتسأل على مين في كليتنا؟

مدحت:

- كنت بسأل على واحد اسمه خالد.

عصام:

- تقصد خالد حجاج؟

مدحت:

- أيوه .. هو ده.

عصام:

- بتسأل عليه ليه؟

مدحت:

- أصله كان متقدم لبنت خالتي وروحت أسأل عنه وعن أخلاقه بردو.

محمود:

- وهي بنت خالتك دي عندنا في الجامعة؟

مدحت:

- لا في جامعة تانية وهو اتعرف عليها صدفة وضحك عليها بكلامه .. والبت حبته ومصممة تتجوزه.

عصام:

- يا ابن الإيه يا خالد!! .. يعني شغال جوه وبره .. ده مش محلي بس يا عم محمود .. ده دولي كمان!

فينظر محمود لعصام بدهشة:

- أنا بجد مش فاهم الشخصية دي؟؟ يا أخي تشوفه تقول ملوش في أي حاجة .. لكن في الحقيقة ده واد مُلعب!!!

مدحت :

- تقصدوا إيه؟؟!!

عصام:

- بص أنا من رأيي تحاولوا تبعدوا بنت خالتك دي عنه، ده شكله يعرف كتير ومش بتاع جواز.

محمود:

- فاكر يا ابني البنت اللي كانت واقفة معاه في الكلية .. دي كانت قمر.

مدحت :

- مين البنت دي؟!

عصام:

- دي بنت في كلية تجارة .. في مرة قولنا له إنك ملكش في البنات واتريقنا عليه، فاتحدانا وقال قابلوني في كلية تجارة بكره، وتاني يوم لقينا عمك واقف مع بنت زي القمر، وشكله كده بيلعب على تقيل .. ودي مش أول واحدة.

فيدرك مدحت حينها أن تلك الفتاة هي أروى.

مدحت:

- يعني من الآخر الواد ده مش بتاع جواز.

محمود:

- لا .. ده بيتسلى يا عم واللي تحسبه موسى يطلع خالد.

وهو يصدم كوبه بكوب عصام.

الفضول هو من جذب مدحت في تلك الخطة لينجرف بها لعله يجد ما يشين ذلك الشخص أو يوقعه في مشكلة تفصله عن أروى حينها ، يلقي مدحت بسنارته في بحر خالد لعله يمسك بشيء منه منتظرا أن يثقل خطاف السنارة ويعلق بشيء يساعده ليلقي بذلك البغيض خارج حياة أروى ومحمد متمنيا من الحظ أن يحالفه.

اليوم التالي يذهب مدحت إلى كلية الهندسة باحثا عن خالد فيجده جالسا على أحد المقاعد منتظرا ميعاد محاضرته.

مدحت:

- صباح الخير يا باشمهندس.

فينهض خالد من مقعده ليتحرك خطوتين في اتجاه مدحت باسم الثغر معتزا بنفسه وخطواته.

خالد:

- صباح النور يااااا .. صحيح أنا لحد دلوقتي معرفش اسمك.

مدحت:

- مدحت .. اسمي مدحت.

خالد:

- أهلا يا أستاذ مدحت .. أكيد جاي تاخد الصورة.

فيتقمص مدحت دور الحزين ويرسم الأسى على وجهه، مهيئا نفسه لما سيضطر لقوله وعذره لعدم قدرته على نشر هذا المقال.

مدحت:

- هو الصراحة .. حصلت حاجة تمنعني من نشر المقال.

فيندهش خالد:

- ليه بس؟! إيه اللي حصل؟ أنت قابلت صحابي ولا لا؟

مدحت:

- ما هي دي الحاجة اللي هتمنعني، الحقيقة اللي سمعته منهم عليك عكس نظرتي فيك وحواري معاك.

خالد:

- أنت تقصد إيه؟! .. ممكن توضحلي ..

مدحت:

- لا أنا مش هقدر .. أنتم أصحاب وأنا مش عايز أعمل أي مشكلة بينكم.

يخفي مدحت بسمته، فهو يشعر بنجاح خطته وأنها في طريقها الصحيح منتظرا أن يجني ثمارها التي كانت غير متوقعة .. فهو خطط للقاء محمد وأروى وكيف يبعد خالد عن أروى في ذلك

الوقت، لكنه شعر بعد حديثه مع خالد بأنه يمكن أن يساعد أروى ومحمد أكثر، وأن هناك الكثير عنه لا يدري به وكان ذلك هو السبب في أن يتعرف على أصدقاء خالد، وها هي الظروف والحظ يساعداه على أن يستكمل خطته، وبذكائه اكتشف غلطة خالد عندما تحدى صديقَيه ليصحح لهم المفهوم الخاطئ الذي يسبح في عقولهم عنه وأنه "الولد اللي مقطع السمكة وديلها" بعد أن أقحم أروى بذلك التحدي لإثبات برهانه.

خالد:

- لا أنا لازم أعرف .. إيه اللي حصل .. لازم تقول.

مدحت:

- بص أنا مش عايز أعمل أي مشكلة.

خالد:

- لازم تقول ...

مدحت:

- أنا الصراحة اتكلمت معاهم .. واللي عرفته منهم إنك بتاع بنات .. يعني بلغتنا "لافف وعارف" بس مش بتحب تبين .. كمان بتراهن على بنات وبتتحداهم وده الصراحة هيمنعني إني أنشر المقالة دي .. وأنا آسف.

احمر وجه خالد وشعر بالغضب الشديد والتف تاركا مدحت خلفه بعد أن أصابه الجنون مما سمعه من تشويه لسمعته وأنه لم يكن يتوقع ذلك الشيء من صديقيه .. هام على وجهه يبحث عنهما ، فيجدهم كعادتهم بصحبة زميلاتهم في الكلية فيركض خالد نحوهما فيراه محمود.

محمود:

- تعالا يا خالد؟ ولا هتتكسف!

عصام باستهزاء:

- لا يتكسف إزاي! .. بس هو بيحب يلعب في المتغطي ملوش في المكشوف.

فيرتفع مقياس غضبه ومعه صوته:

- أنا قلت إني أنتم متنفعوش تبقوا صحاب .. أنتم بتكرهوني علشان أنا متفوق في الكلية وأنتم يدوب بتنجحوا بالعافية .. مش عايزيني أبقى أحسن منكم.

محمود:

- مالك يا خالد؟ احنا بنهزر معاك.

فتنسحب الفتيات بعد أن وجدوا أن المشاحنات زادت، وربما ستنقلب الأمور إلى ساحة للمعركة.

عصام:

- أيوه يا عم بنهزر .. أنت بتقفش ليه بس!

خالد:

- بتهزروا إزاي .. أنتم السبب في إن المقالة بتاعتي تتلغي، بعد الفكرة الزبالة اللي وصلتوها للصحفي عني.

يتبادل محمود وعصام النظرات بتعجب ولا يدريان عن ماذا يتحدث خالد.

محمود:

- مقالة إيه؟ وصحفي مين؟

خالد:

- أنت كمان هتستهبل ! .. وهتعمل نفسك مش عارف حاجة!

عصام:

- احنا فعلا مش فاهمين أنت بتتكلم عن إيه؟!

خالد:

- مش فاهمين .. ولا بتنكروا .. طبعا ما هو الحقد ملا قلوبكم .. عايزيني أبقى صايع زيكم وأسهر كل يوم في الكابريهات .. عايزيني أفشل.

عصام:

- ما تحترم نفسك يا خالد احنا لحد دلوقتي بنتكلم معاك باحترام، ومش عايزين نزعلك.

بينما عصام يوجه تهديداته لخالد تذهب إحدى الفتيات لتخبر أمن الكلية بعد أن رأت شدة المشاحنة بينهم .. فيتحرك الأمن معها في اتجاه مكانهم لتهدأة الأمور.

خالد يُثار غضبه بكلمات عصام الأخيرة وتهديداته له فيفقده صوابه، فيلكم عصام بوجهه ويسقط عصام وفوقه خالد وهو يلكمه مرات متتابعة بينما محمود خلفه يحاول جذبه وتخليص عصام من يده، لكنه لا يستطيع لشدة تشبث خالد بعصام وروح الانتقام التي تعصر قلبه، وفي تلك اللحظة يصل رجل الأمن فيساعد محمود في جذب خالد ويبعداه عن عصام الذي كان ملقى على الأرض لا يقوى على النهوض، وجهه ملئ بالدم السائل من رأسه وأنفه وشفتيه .. وخالد يقاوم قبضات رجل الأمن ومحمود، فيتركه محمود ويجري على صديقه ليطمئن عليه ويساعده في النهوض تاركا خلفه خالد بقبضة رجل الأمن، فيحاول خالد بقوة من إبعاد ذلك الرجل عنه ولما استاء من إبعاده لكمه هو الآخر وأسقطه في الأرض وفي نفس اللحظة أتى استدعاء لهم في مكتب عميد الكلية.

وسط زحمة الطلاب الملتفين بميدان المعركة يشاهدون الأحداث يقف من بينهم مدحت فيصطدم أحد بكتفه فينظر بجواره ليجد محمد ينظر بدهشة لهذه الأحداث المتتابعة.

محمد:

- هو في إيه بالظبط؟

مدحت مبتسما:

- يا ابني ده رزقك .. اصبر بس أنت لحد الآخر .. وهتعرف إيه اللي بيحصل.

يخرج خالد من مكتب العميد مُنكَّس الرأس بعد أن أصدر العميد قرار فصله لمدة عامين بسبب ما أحدثه من أضرار وإصابات لزملائه وأمن الكلية، فيغادر خالد لمسكنه دون أن يذهب لأروى فهو لا يدري بماذا سيخبرها؟

يقف كلٌ من أروى وشيماء ومحمد بصحبة مدحت يقص عليهم ما خطط له وما فعله؟ وكيف تفاعلت الأحداث معا وتسارعت؟ كما أخبر أروى بما سمعه من أصدقاء خالد، محمود وعصام، وحينها اتضحت لهم الأمور وقررت أروى أن تستغل ذلك الأمر لصالحها وأن تخبر والدها لعل الأمر يحدث به أي تغيير وتهرب من ذلك الزوج الإجباري بعد أن اكتشفت أخطاءَه.

تجلس أروى على الأريكة بمنزلها بجوار والدها تقص عليه ما حدث فتتغير ملامحه تدريجيا ولكنه يحاول إخفاء غضبه مما سمعه، وإخفاء حزنه لما سببه لابنته، شعور متناقض يتصارع بداخله حول الشعور بالذنب لاقترافه غلطة في حقها، وبين المفاهيم التي نشأ عليها والتي يجب أن تكون دائما هي الأصح والتي من ضمنها سياسة عدم الاعتذار، وقراراتي دوما الأصح والتي لا يمكن تغييرها أو التراجع عنها، وعلى رأسهم مفهوم أن هو الوحيد القادر على تحديد مستقبل ابنته وما سيسعدها ويفيدها ويبعدها عن ما يضرها من وجهة نظره متجاهلا أي وجهات نظر أخرى.

لا يرغب فتحي في الاعتذار ولكنه في نفس الوقت يرغب في قتل ذلك الشعور الذي يختنق منه صدره، وهو الشعور بالذنب، فيقرر تصحيح غلطته في تلك اللحظة وأن يتصل بأخيه ليخبره بما حدث وما أحدثه ابنه ... وأنه قد ألغى أي ارتباط.

فتعود السعادة والفرحة مرة أخرى لحياة أروى وتشعر بأنها تحررت من ذلك السجن الذي أُلقي حتفها به دون إدانة، لتخرج من خلف أسواره وتستنشق هواء الحرية لكن مع الأسف ينتشر بذرات ذلك الهواء غاز سام يمزق صدرها.

لحظات تمر في تلك السعادة حتى تصطدم أروى بتلك السموم التي انتشرت بخروج قرارات والدها الأخيرة.

فتحي:

- مش معنى إني فركشت الجوازة دي إني هغفرلك كل اللي عملتيه .. لا طبعا .. من هنا ورايح أنا اللي هوصلك وأرجعك من الكلية في الشهر اللي فاضلك في السنة دي .. والسنة الجاية هتحولي ورقك انتساب .. ومفيش خروج من البيت إلا ورجلي على رجلك.

تنظر له أروى باستياء شديد بعد أن سئمت قراراته المتمثلة في خناجر مسمومة، وطعناته بها التي لا ترحم، كم يرغب وبشدة في إبعادها عن محمد ذلك الشاب الذي لم يلتقي به مرة في حياته ليحكم عليه !!! وكيف يصر على هذا الأمربشكل مبالغ فيه؟

كم فرحت بخروج خالد من حياتها لتجد فيها نقطة بيضاء ولكن سرعان ما اسودت حياتها بقرارات والدها التي ستبعدها عن رؤية محمد، فخالد بوجوده في حياتها كان يتمثل في شكة دبوس بينما محمد في خروجه من حياتها يتمثل في طعنة مزقت ضلوعها.

يجلس محمد على سريره في غاية الصدمة بعد أن علم من شيماء قرار فتحي والد أروى .. لا يدري هل يحزن من ذلك القرار أم يفرح بأن القدر ساعده بأن يتخلص من منافسه الوحيد خالد، ليبقى هو الوحيد في حياة أروى، هو الوحيد في ساحة المعركة، من سيحارب لأجل هدفه وهو الوصول لأروى ولكن كيف سيحارب بعد أن ضاع الهدف؟! كالجندي المناضل لأجل بلاده، لكن لسوء حظه تفقده البلاد جنسيته وتسحبها منه .. فكيف في ذلك الوقت سيناضل .. ولمن؟ وها هو فتحي قام بسحب هوية محمد ليجعل حياته بلا أروى، ذلك الهدف الذي يعيش لأجله.

فرح محمد أيضا بإبعاد خالد من حياة أروى ولكن قرار فتحي أفسد عليه فرحته وكأنه عاد لأعوامه الماضية التي قضاها بعيدا عن أروى قبل أن تعود له.

لتُسلب روحه مرة أخرى من بين ضلوعه، بعد أن توقف قطار حياته التي تتقدمه أروى بسبب تلك الحواجز التي وضعها أمامه فتحي، فتتعالى الأمواج في حياته ويعود الحزن لمملكته تارة أخرى.

❁❁

تحقيق الحلم

يقف محمد أمام دولابه يبحث عن ملابس العزاء التي اعتاد ارتداءَها في تلك الظروف، فيخرج قميصه الأسود وبنطال أسود يلتف حوله حزام بنفس اللون وكذلك الحذاء، لحظات ينهي محمد بها ارتداء ملابسه .. فقد كان متوجها إلى منزل أروى وللمرة الأولى في حياته يذهب فيها لمنزلها بعد أن سمع من شيماء خبر وفاة والد أروى في حادث سيارة اصطدمت بالتاكسي الذي كان فتحي بداخله متوجها إلى عمله .. وتلك كانت هي المرة الأولى له لرؤية أروى عن قرب منذ عامين، فقد اعتاد في هذين العامين على اختلاس النظرات من بُعد حتى لا يُسبب لها أي مشكلة مع والدها ، والآن قد أنهوا دراستهم الجامعية وهو الآن في مرحلة "جاري البحث عن وظيفة".

يقصد محمد أحد محلات الورد قبل أن يذهب إلى منزل أروى لشراء بوكيه ورد ليقدمه لها كمواساة لها في تلك الظروف.

تقف أروى بجوار والدتها بوجه منتفخ، انتفخ من كثرة النحيب على المفقود، فكم كانت أروى تعشق والدها رغم قسوته عليها

أحيانا .. وعيون مغطاة بالدم من كثرة الدموع التي تملأها .. ترتدي فستانا أسود طويلا ذا أكمام، بينما والدتها متمالكة نفسها بدموع جافة لكن بصرخات عالية تدوي بداخلها وقلب يعتصر ألما ونحيبا.

تمد أروى يدها لتصافح السيدات أمام باب المنزل، فهن في طريقهن للمغادرة .. لحظات لتجد محمد يقف أمام الباب حاملا بيده بوكيه ورد، فتنظر أروى له وهي تحاول رسم ابتسامة على وجهها لرؤيته لكن دموعها تسبقها في ذلك الوقت على ما أصابها، تتمنى أن تلقي نفسها بأحضانه وتشكو له وجعها على فراق والدها، كم تمنت أروى أن ينظر والدها لمحمد بنفس نظرتها ، وأن يعرف مدى حبهما لبعضهما البعض، لكن لم يحالفها الحظ أبدا.

فتلاحظ سميرة تغيير نظرات أروى عندما رأت ذلك الشاب لتدرك في تلك اللحظة أنه المختار لقلب ابنتها "محمد" فتسرع في مصافحة السيدات لتخرج الأخيرة منهن، حينها تدعو سميرة محمد للدخول.

يخطو محمد خطوات هادئة إلى داخل شقة فتحي لتنتهي به أمام إحدى كراسي الصالون ليجلس عليها بعد أن صافح سميرة وقدم

لها الورد بكلمات العزاء المعتادة ثم تجلس سميرة على أريكة الصالون وبجوارها أروى.

محمد:

- البقاء لله يا طنط وربنا يجعلها آخر الأحزان.

فتجيبه سميرة بصوت مُلئ بالحزن والأسى على فقدان زوجها الذي طالما أحبته رغم طباعه الصعبة.

سميرة:

- البقاء لله يا ابني.

محمد:

- حضرتك أول مرة تشوفيني .. أنا محمد.

سميرة:

- ما أنا عرفت ده من نظرة أروى ليك .. كان نفسي أتعرف عليك من زمان.

محمد:

- وأنا كمان والله يا طنط .. بس حضرتك عارفة اللي حصل .. وأنا آسف إني أول مرة حضرتك تشوفيني فيها تكون في الظروف دي.

سميرة:

- أنا عارفة يا ابني كل حاجة.

ثم تضع يدها اليمنى على ركبتها اليمنى في وضع استعداد للنهوض ...

- أنا هروح أعملك قهوة.

ثم تتجه سميرة نحو المطبخ تاركة أروى معه، فينظر محمد لأروى نظرة اشتياق يشوبها الحزن والألم على ما حل بها .. بينما قطرات الدموع تحجب عيون أروى عن الرؤية الواضحة.

أروى:

- شوفت اللي حصل!! أنا مش مصدقة لحد دلوقتي إني مش هشوفه تاني ...

فينهض محمد من كرسيه متجها نحوها ليجلس بجوارها وهو يربت على كتفها محاولا أن يواسيها في ذلك الشعور السيء الذي لم يشعر به من قبل، فقد توفي والده وهو في عمر لم يدرك فيه معنى فقدان الأب وحنانه.

محمد:

- أنا جنبك متخافيش .. وهفضل معاكي.

أروى:

- كان زعلان مني يا محمد أوي.

محمد:

- باباكي بيحبك .. ومستحيل هيزعل منك.

ثم ينهض محمد ليتأهب للمغادرة.

أروى:

- أنت لحقت!

فيجد سميرة قادمة حاملة بيدها صينية عليها فنجانا من القهوة السادة، فتراه في وضع الاستعداد للرحيل بعد أن أدى واجب العزاء، فهو يعلم بأنهن بمفردهن ولا يصح أن تطول زيارته في ذلك الوقت، فأراد أن ينهيها بسرعة رغم اشتياقه الشديد لأروى.

سميرة:

- رايح فين يا محمد يا ابني! مش هتشرب القهوة؟

محمد:

- معلش يا طنط مرة تانية في ظروف أحسن إن شاء الله، بس أنا مضطر أمشي دلوقتي.

تضع سميرة صينية القهوة على منضدة صغيرة تتوسط الصالون وتتبع محمد الذي سبقها نحو باب الشقة وتتبعها أروى.

سميرة:

- هستناك تكرر الزيارة تاني يا محمد.

محمد:

- طبعا أكيد .. وبعد إذن حضرتك أنا هبقى على اتصال بأروى أطمئن عليكم .. وهبقى آجي أزوركم دايما .. ولو احتاجتم أي حاجة تكلموني طبعا.

سميرة:

- أكيد طبعا يا ابني .. وأنت تشرف في أي وقت.

حجاج بنبرة استهزاء:

- هو مين ده اللي يشرف في أي وقت؟!

تصدم تلك الكلمات أذن سميرة فتتجه بنظرها نحو باب الشقة، فتجد حجاج وبجواره خالد أمام الباب من الداخل، فقد همَّ كلٌ منهما بالدخول بعد أن وجدا الباب مفتوحا .. فلم تستطع سميرة أن تغلق باب شقتها في وجود محمد لغياب رب منزلها ، فاضطرت أن تتركه مفتوحا، ولم تكن تتوقع قدوم حجاج وابنه في ذلك اليوم.

سميرة باندهاش:

- أهلا يا حجاج اتفضل.

حجاج مشيرا لمحمد بسبابته:

- مين الأخ؟!

- ده يبقى ....

ليقطع حديثها خالد راغبا في إكمال جملتها بطريقته:

- ده يبقى محمد يا بابا .. سبب كل المشاكل اللي حصلتلنا.

فتشتعل نيران الانتقام بداخل حجاج كأن بينه وبين ذلك الشاب الذي لم يقابله في حياته قط سوى هذه المرة ثأر مميت.

حجاج:

- وده إيه اللي جابه هنا؟

سميرة:

- جاي يعمل الواجب.

- واجب!! واجب إيه بقى ما هو عمله من زمان .. هو إنتي فاكرة علشان راجل البيت مات يبقى تقدروا تعملوا اللي أنتم عايزينه .. لا لا لا ده مستحيل.

- أنت تقصد إيه؟!

- أقصد إن غاب القط العب يا فار .. ده حتى الراجل ملوش ساعات مدفون، إنتي إيه يا شيخة مش بترحمي.

- أنت جاي ليه بالظبط؟! أخوك ومات وملكش أي حاجة هنا تاني.

- كنت جاي أوصل حبل الود اللي اتقطع بسببك إنتي وبنتك ومشيها البطال.

- احترم نفسك يا حجاج ولاحظ كلامك .. ولاحظ إنك واقف في بيتي .. وبعدين هو مكانش في حبل ود أصلا علشان نقطعه .. واللي في خيالك أنت وابنك ده انساه.

- هي فعلا كل حاجة اتقطعت .. واحنا ميشرفناش النسب ده دلوقتي .. وأخويا مات ومبقاش لينا حد هنا نعرفه.

ثم يشير لخالد بإصبعه ليتبعه:

- يلا يا خالد .. ثم يغادرا.

فيشعر محمد بأسف شديد تجاه والدة أروى:

- أنا آسف يا طنط.

- آسف على إيه يا ابني؟ ! أنت ملكش أي ذنب في أي حاجة، وده كان هيحصل سواء النهارده أو بكره.

- طب أنا هستأذن بقى.

فتودعه سميرة وأروى على باب الشقة ويغادر محمد لمنزله.

يعود محمد لمنزله ليجد والدته في انتظاره، وقد بدت عليها السعادة رغم حزنها على ما أصاب أروى وفقدانها لوالدها بعد أن علمت ذلك من محمد، لكن ما سبب تحول الحزن للسعادة .. لا يدري؟ وبينما تجلس والدته تشاهد التليفزيون تنتظره كان بيدها تفاحة حمراء كتفاحة سنو وايت وبيدها الأخرى سكينة،

تنهض مسرعة بعد قدومه تاركة من يدها التفاحة والسكينة في طبق على طاولة صغيرة أمامها وتتجه خلفه لغرفة نومه.

- شوفت أروى؟

محمد وهو يخلع ساعته من يده ليستعد لتبديل ملابسه.

- آه شوفتها .. حالتها صعبة أوي مكنتش حابب أشوفها في الظروف دي.

- معلش يا ابني .. الأيام هتنسيها.

فيرمقها محمد بنظرة علامة الاستفهام من سبب سعادتها، فتفهمها رجاء فتبتسم.

- أيوه مبسوطة يا أخي.

- آه .. ما أنا عارف .. إيه بقى السبب؟

- بص هما سببين الصراحة.

- الأول؟

- إنك رجعت شوفت أروى.

فيبتسم محمد ..

- والتاني؟

- والتاني بقى إنك هتاخد ملفك بكره إن شاء الله وتقدمه في البنك اللي بيشتغل فيه صاحب خالك، وهو هيوظفك هناك.

وعلى وجهها الحماس والسعادة لابنها الوحيد، فهو يمثل لها كل ما تملكه في حياتها، فمنذ وفاة والده وقد قررت رجاء أن تكرس حياتها بأكملها لابنها غير مبالية بضياع عمرها لأجله أو حقوقها في بدء حياتها مرة أخرى مع زوج آخر تختاره، فكان محمد لها الابن والزوج والأب وكل شيء لها.

فيضم محمد والدته لصدره بسعادة تغمرهما معا، ويضع على رأسها قبله.

- أنا بحبك أوي يا أمي.

تمر الساعات سريعا وينقضي مشوار الوظيفة بخير ويعود محمد لمنزله بعد أن حصل على وظيفته.

يجلس محمد على كرسي خشبي بجوار سريره وعلى قدمه هاتف المنزل، بينما السماعة يمسكها بيده وهو يضعها على أُذنه لحظات ليأتي صوت أروى في الهاتف.

- ألو.

- إزيك يا أروى.

- أهلا يا محمد .. أنا بخير وأنت؟

- أنا بخير الحمد لله .. ماما عاملة إيه؟

- الحمد لله كويسة .. لسه مرجعتش من الشغل.

- آه بالمناسبة .. إنتي عارفة أنا راجع منين دلوقتي؟

أروى بفضول قاتل:

- منين؟!

- من الشغل بردو.

- أنت بتتكلم بجد؟!

- آه طبعا .. النهارده عملت الإنترفيو واتقبلت وهستلم بكره كمان.

- ألف مبروك يا محمد .. أنا مبسوطة علشانك أوي.

- عقبالك يا أروى .. بس أنا هبقى مبسوط أكتر لما تبقي معايا.

فتشعر أروى باحمرار الخجل يسري بوجهها ..

- إن شاء الله يا محمد.

محمد بعد أن انقضى أول شهر له في عمله يقف في محل "سلفر" الذي اعتاد على شراء هدايا الفضة لأروى منه، يختار من بين المعروضات دبلتين فضة، ووضع عليهما حروف اسمه واسمها، ثم يتجه إلى منزله ليجد والدته قد استعدت للذهاب معه ليخطو أول خطوة في حياته مع أروى بعد أن اتفق محمد مع رجاء على تلك الخطوة وأنه سوف يشتري من أول راتب له دبلة أروى، وقد طلب من والدته أن تذهب معه في ذلك اليوم لطلب يد أروى رسميا من والدتها لمحمد.

يجري محمد على غرفة نومه ليتصل بأروى ليتأكد من وجودها بالمنزل بصحبة والدتها، وبعد أن يطمئن قلبه يهرع لوالدته بقلب طائر من السعادة ليصطحبها متجها بها لمنزل أروى.

يقف محمد وبيده قطفة من الورود الحمراء في باقة، وبجواره والدته وقلبه ينبض بسرعة ربما بمقياس سرعة الصوت يكاد يثقب ضلوعه ويخرج من فرحته المختلطة بالقلق من تلك اللحظة ، سيناريو معتاد رسمه محمد منذ أن أصبحت أروى حبيبته وقرر أن يكمل حياته معها ، سيناريو البدلة السوداء والفستان الأبيض الذي حلم به لأعوام كثيرة ولم يتخلَّ عنه يوما رغم الظروف التي مر بها والصعوبات التي واجهته ليصل إليها.

يقفان أمام باب شقة أروى، لحظات تمر بعد أن أطرقوا طرقتين على باب الشقة حتى تفتح لهم أروى فتتفاجأ أروى بزيارة محمد بصحبة والدته فتنظر له بدهشة، فهو لم يخبرها بأنه قادم لزيارتها في ذلك الوقت ومعه والدته.

فتسمح لهم بالدخول بعد أن ضمتها رجاء لصدرها وقبلتها في خديها وهى مبتسمة ابتسامة عريضة تزيد من دهشة أروى، ثم تذهب بهم إلى الصالون لتسمح لهم بالجلوس ، فيقدم لها محمد بوكيه الورد برعشة توتر تسيطر على يديه ثم يجلس ، فتلتقطه

أروى بسعادة وابتسامة دون أن تلاحظ رعشته، فتجد بداخله علبة صغيرة لونها أحمر بلون الورد على شكل فيونكة، فتهم أروى بفتحها لتجد بداخلها دبلتين، واحدة فضة والأخرى ذهب.

تنظر أروى لذلك الشبح الواقف بجانبها بذهول لتجدها سميرة والدتها ناظرة هي الأخرى إلى العلبة التي بيد أروى وما تحتويه بدهشة شديدة وقد بدا عليها انهماكها في أعمال المطبخ، فهي ترتدي عباءة بيج يختلط به الكثير من بقع المطبخ من زيوت وصلصات، تمسك بيدها اليمنى مغرفة، وتضع فوق شعرها إيشارب أخضر اللون، هرعت سميرة من المطبخ بهذا المنظر بعد أن شعرت بوجود ضيف في منزلها بعد أن سمعت الطرقات على باب الشقة، فشعرت حينها بالقلق على أروى فخرجت مسرعة لتجد أروى في صالون المنزل ومعها محمد ووالدته.

تتبادل النظرات بين أروى ووالدتها في دهشة وذهول ممزوجة بسعاده، فينهض محمد متجها لأروى ثم يمسك بيدها اليسرى منحنيا ليضع قبلة رقيقة عليها ثم يرفع رأسه وبصوت هادئ:

- أروى .. تقبلي تتجوزيني؟

فتجد أروى على وجهه نظرة مليئة بالتمني والرجاء لم ترها على وجه محمد من قبل.

فتتجه أروى بنظرها لوالدتها الساكنة في مكانها تلتمس منها إذن الموافقة بعينيها وبين شفتيها ابتسامة خجولة، فتجد رجاء والدة محمد تقف بجوار والدتها وهي تلف ذراعها الأيسر حول كتف سميرة وقد ضمتها إليها بحب وكأنها ترسل لها رسالة تخبرها أنها بجوارها وتبعث بها مشاعر الحب والاطمئنان ، وعلى وجهها ابتسامة متسعة كادت أن تظهر فكيها بالكامل من أثر فرحتها بابنها.

فتفهم سميرة نظرة أروى لها وأنها في انتظار كلمة والدتها التي بموافقتها سيكتب لها السعادة الأبدية بصحبة محمد حبيبها الوحيد وكل ما تمنته في حياتها ، فتهز سميرة رأسها لأعلى ولأسفل بابتسامة، فتغمر أروى السعادة بعد أن ضمنت موافقة والدتها في تلك اللحظة لتدرك أنها اجتازت أصعب اختبار لها في حياتها بنجاح ، فتلتفت إلى محمد بقلب نابض باسم حبيبها ، والآن حصلت على الإذن ليصبح زوجها ، فتجد محمد ما زال منتظرا الرد منها، فتجيبه بنبرة راقصة من فرحتها:

- موافقة طبعا.

لحظة صمت يتبعها ألم في صدر أروى بعد أن تذكرت فقدان والدها فهي تمنت دائما أن يكون بجوارها في تلك اللحظة ، رسمت بمخيلتها مشهد لم تتوقع في يوم من الأيام أنه سيصبح

مستحيلا ، يمشي والدها بجوارها وهي تلف ذراعها بذراعه، يزفها لذلك الشخص الذي لم ترَ في حياتها بديلا له، تمنت أن يشعر بسعادتها في تلك اللحظة وتمنت أن يكون بجوارها، راضٍ عن تلك الزيجة ووجهه ملئ بالسعادة لسعادة ابنته، ذلك المشهد الذي رسمته دائما أروى في مخيلتها ولكن شاء القدر تغيير ذلك المشهد.

فتسقط من عينيها دمعة بعد أن أدركت أن أحلامها الآن أصبحت مستحيلة في وجوده أو حتى رضاه على محمد ، وظهر على وجهها ملامح الحزن والأسى، فيفهم محمد سبب خروج تلك الدموع، فلم يمر الكثير على وفاته ليطويه النسيان ولو استطاعت الأيام بكثرتها أن تطويه ، فيمسحها محمد بأصابعه ويطمئنها بصوت هادئ حنون:

- هو مبسوط طول ما إنتي مبسوطة.

- تفتكر؟!

- لا .. أنا متأكد.

- بس أنت عارف أنا هختار أي واحدة؟!

فيبتسم محمد بعد أن وصل له مغزى جملتها.

- متقلقيش الاتنين بتوعك إنتي.

ثم يدخل يده بجيبه ليخرج دبلته الفضة.

- ودي بقى بتاعتي أنا.

تنقضي الأيام سريعا على محمد وأروى وهما منهمكان في تجهيز عش الزوجية، بعد أن فاجأت رجاء ابنها محمد بأنها سوف تهديه الشقة التي سوف يتزوج بها، فهى تفكر في ذلك اليوم منذ أن علمت بوجود أروى في حياته فسعت في إيجاد شقة له حتى وجدت إحدى المسابقات التي تقوم بها وزارة الإسكان فتقدمت لها ودخلت في السحب، وفازت بهذه الشقة في عملية القرعة وقد كان محمد حينها في الثانوية العامة.

ومنذ ذلك الحين وهي تجهزها له لذلك اليوم حتى يتم هو وعروسه تجهيزها ويضيفا عليها لمساتهم الأخيرة.

تذهب أروى صباحا إلى عملها بعد أن عملت بنفس البنك الذي يعمل به محمد، فقد وجد لها محمد وظيفة شاغرة هناك وساعدها لتصل إليها، وبعد أن تنهي أروى عملها تعود مع محمد لتقضي باقي يومها في شراء تجهيزات الشقة بصحبته هو ووالدتها ووالدته وهم في غاية السعادة.

ليأتي اليوم الذي يتحقق فيه حلمهما "يوم العرس"، لتقف أروى وهي ترتدي فستانها الأبيض، فستان دون أكمام، واسع الخصر حتى قدمها وضيق في الجزء العلوي، لامع، ويوجد أسفل الظهر فيونكة كبيرة الحجم، تضع بين خصلات شعرها دبوسا أبيض

ممسكا بطرحتها البيضاء الطويلة، وتتناثر خصلات أخرى على جبينها.

تلف ذراعها الأيمن بذراع محمد الأيسر، الذى يقف بجوارها ببدلته السوداء وقميصه الأبيض وربطة عنق سوداء لامعة، تغمرهما سعادة لم يشعرا بها من قبل، فكم انتظرا ذلك اليوم بفارغ الصبر ليصبحا معا، ولم يفقدا الأمل قط في تحقيقه رغم الصعوبات التي مرا بها معا، حبهما كحب المجنون لليلى لكن في حالتهما أصبح مجنون أروى، بينما خلفهم سميرة ورجاء وشيماء التي ارتدت فستانا أسود قصيرا ضيقا يبرز جميع مفاتنها وتمسك بيد مدحت ببدلته السوداء دون ربطة عنق، وعلى وجوههم فرحة شديدة، وصوت كاسيت يعلو بأغاني أفراح، فقد رفضت أروى أن تقيم فرحا في إحد ى القاعات الكبرى بمدعوين لحزنها الشديد على غياب والدها عن تلك المناسبة وفقدانها له، أصرت أن يكون في منزلها وأن يكون مع أصدقائها المقربين فقط.

تنقضي ساعات الاحتفال بالفرح الصغير بين التصفيق والرقص والزغاريد المدوية التي خرجت من والدة محمد وشيماء ليضيفا الفرحة على مراسم الاحتفال، حتى تأتي لحظة وصول محمد وأروى لعش الزوجية بعد انتهاء الفرح، ويغلق عليهما باب

منزل واحد، وتبدأ حياتهما معا بصلاة شكر تجمعهما معا في ليلتهما الأولى، يشكران بها الله على نعمه وفضله عليهما حتى وصلا لذلك اليوم الذي تمنياه دائما.

تجلس أروى على حافة سريرها بغرفة نومها الجديدة وما زال حزنها على والدها لا يفارقها، غير قادرة على نسيانه، فيجلس بجوارها محمد متسائلا:

- مالك؟!

- كان نفسي بابا يبقى موجود معايا في اليوم ده، كان نفسي هو اللي يزفني وأشوف فرحته بيا.

فيحاول محمد تخفيف حزنها:

- ومين قالك إنه مكانش موجود؟

- تفتكر أنا لسه طفلة وهتقدر تضحك عليا بكلمتين زي دول؟! وهي تبتسم ابتسامة طفولية.

فتتحول نظرة محمد الحنونة لنظرة إعجاب تشعرها بالخجل.

- هو الصراحة .. أنا مشوفتش طفلة بالجمال ده قبل كده.

- أنت هتعاكس ولا إيه؟!

محمد يمسك بيدها ويقبلها ثم ينظر بشوق ولهفة بعينيهما.

- أنا بحبك أوي يا أروى، النهارده أسعد يوم في حياتي، لا لا لا كل يوم هيجمعنا هيبقى أسعد من اللي قبله، أنا مش مصدق نفسي لحد دلوقتي إنك بقيتي بتاعتي خلاص .. بقيتي ملكي يا أروى .. أنا بحبك وهفضل أحبك لحد آخر يوم في عمري.

- وأنا كمان بحبك أوي يا محمد.

لحظات من تبادل النظرات والضحكات والهمسات والتقارب العاطفي والجسدي بينهما لتأتي اللحظة التي يتجرع فيها كلٌ منهما كأس الحب كاملا، الحب بأقصى معانيه ويفقد كلٌ منهما وعيه وإدراكه ويسكنه الحب بشتى تفاصيله العاطفية والجسدية، لا يدرك أي منهما شيئا سوى مدى سعادته في تلك اللحظة.

فقد شعر محمد وبعد معاناة أنه وصل أخيرا لمراده في أن تكون أروى في حياته .. بل وكل حياته، كأنه حصل على مفتاح باب سعادته مدى الحياة بوجودها، وبين يديه نبع من الجمال الخالص والذي لم يجد له مثيلا، والآن أصبح كل هذا بين يديه، وملكا له وحده، ولم يعد له أي منافس.

بينما أروى تنظر له بلهفة كأنه حلم بعيد ناضلت كثيرا لتصل إليه، وها هو الآن بين يديها وقد تحقق.

تمر الأيام تغمرها السعادة والحب الذي يملأ كل ركن من أركان عشهما، لم يجدوا يوما به لحظة حزن، حتى تأتي لحظة ولادة أحمد ابنهما الأول ليزيد من سعادتهما، ثم لحظة اكتمال تلك السعادة بقدوم رنا إلى المنزل لتُكمل الأُسرة.

سعادة وفرح، هكذا كانت تمضي الأيام في منزل محمد، حتى تحين اللحظة التي يعرف الحزن لهما عنوانا، ويذهب ليطرق عليهم الباب باحثا عن منفذ ليدخل به لحياة أروى ومحمد حتى وجده.

اللحظة التي صدمت محمد حين علم بمرض أروى، وأنها على حافة الحياة، نعم على وشك أن تغادر هذا العالم .. عاش محمد في حزن وألم شديدين في عام أروى الأخير، يحاول أن يخفي عنها كل أحزانه، ويعطي لها كل أمل في الحياة لكي تستطيع أن تقاوم مرضها القاتل، وبداخله ألم يفوق آلام أروى الجسدية والنفسية.

حتى أتت اللحظة التي غادرت فيها أروى هذا العالم، ومنذ أن توارى جسدها تحت التراب، وتورات معها روح محمد، لم يعد سوى جسد هائم على وجهه في حياة يبغضها من بعدها، يسعى لأجل أبنائه منتظرا تلك اللحظة الفارقة في حياته، والتي سيغادر فيها ذلك العالم أيضا ليلحق بعالم أروى ليظل معها.

وفجأة يسمع صوت يأخذه بعيدا عن أحزان الماضي وآلامه، صوت طفلته.

- هو حضرتك بتعيط؟!

بعد أن لاحظت قطرة من دموعه سقطت على خده دون إدراك خرجت دون أن يشعر بها، لم يشعر إلا بألمه على فراقها .. ذلك الجرح الذي يزيد مع الأيام ولا يشفى أبدا .. فيتماسك محمد ويمسح دموعه ثم ينهض.

- لا أبدا .. دول شوية تراب دخلوا في عيني.

- طيب أنا وأحمد جمعنا هدومنا اللي مش نضيفة .. وحطيناها جنب الغسالة علشان تحطهم في الغسالة.

فيتحرك محمد متجها للحمام الذي بداخله تقطن غسالته الفول أوتوماتيك، بينما رنا تسير خلفه وما زالت تثرثر.

- وبعدين قولتلك مليون مرة علمني أشغلها إزاي .. أنا قلبي عليك وعايزه أساعدك.

فيبتسم محمد على كلماتها ويتابع طريقه، بينما هي تكمل كلامها:

- وممكن تجيبلنا شغالة .. أهو تنضف البيت حتى شوية.

فيقف محمد أمام الغسالة ويفتح بابها ويقذف تلك الملابس بداخلها ثم يضغط على زر التشغيل، ثم يعود لرنا وحديثها.

- ماشي هبقى أشوف حوار الشغالة ده .. يلا بقى اجري على سريرك الوقت اتأخر .. تصبحي على خير.

ويضع قبلة على رأسها، فتبتسم رنا لتبرز براءَتها ثم تجري على غرفتها وهي تجيبه:

- وحضرتك من أهله يا بابا.

❁❁

الحادثة

ينظر محمد من خلال نافذة سيارته يمينا ويسارا على جوانب الطريق أمام البنك الذي يعمل به، يبحث عن مكان لركن سيارته .. وكالعادة الشوارع ممتلئة بالسيارات فلا يجد مكانا لعلبته الصفيح فيلجأ إلى حيلة المصريين التي اعتادوا على فعلها وهو الركن في صف ثانٍ ليغلق على عربية أخرى لونها أبيض. ثم يترجل من سيارته ويغادر متمنيا من الله أن يخرج من عمله ويجدها دون أن يقع في صدام مع المرور والمخالفات، فكثير من المصريين وإن لم يكن أغلبهم يعشقون كسر القوانين .. لا لا هناك احتمال آخر وهو أن القوانين هي التي تعجز عن تحقيق راحتهم .. فى الواقع لا أحد يدري!

يذهب محمد إلى عمله ويقضي يومه الروتيني بين حسابات العملاء والأرقام الكثيرة الخاصة بهم من قروض وودائع وأموال بأرقام مختلفة، حتى ينقضي يومه في العمل وما زال في داخله شعور بالقلق على سيارته، فيجمع أشياءَه بعد انتهاء

مواعيد عمله ويغادر مسرعا تاركا مكتبه، في اتجاهه للخارج ليطمئن على سيارته.

فيلمح من بعيد فتاة تقف بجوار سيارته يبدو عليها أنها في العقد الثالث لها شعرها "كيرلي" بخصلات بنية وأخرى شقراء، ترتدي نظارة شمس منصوبة على أنفها الشامخ، وقد ارتدت بنطلون جينز سكيني وجاكيت أزرق اللون أسفله شميز بلون أصفر وحذاء بكعب عالٍ بلون الجاكت، بينما تحمل بيدها حقيبة بلون الشميز.

فيذهب محمد مسرعا نحو سيارته، فيجد تلك الفتاة تنظر بغضب إلى الساعة التي ترتديها، يبدو عليها أنها قد تأخرت على شيء ما ؟! فتجد محمد ذلك الشخص المبهم بالنسبة لها قادما في اتجاهها مسرعا، فتدرك حينها أنه صاحب تلك السيارة صاحبة هذه المخالفة والتي تمنع سيارتها من التحرك وتحتجزها كرهينة، فترفع نظارتها من على وجهها لتظهر من تحتها عيونها البنية الكاتمة، وتمسك نظارتها بيدها.

محمد بدقات قلب سريعة لقلقه الشديد على سيارته من عفاريت المرور وهو متهدج الأنفاس:

- أنا آسف أوي .. أكيد حضرتك صاحبة العربية؟

فترمقه تلك الفتاة بنظرة اشمئزاز وغضب وتأفف:

- أنت إزاي يا أستاذ تسمح لنفسك بإنك تعمل حاجة زي دي؟!

فتظهر على شفتيه ابتسامة سخرية فهو لم يكن الوحيد الذي يضطر إلى كسر القونين ولم يكن هذا برغبته، فيدور بخاطره حوار مع نفسه بصوت مكتوم:

- هو أنا يعني الوحيد اللي بركن صف تاني؟!

- ما البلد كلها كده.

- قال يعني لقيت مكان وقلت لا.

- حاجة غريبة والله.

فيخترق صوتها العالي غشاء طبلته ليثقبها:

- أنت يا أستاذ .. أنت لسه هتتنح ؟! اخلص حرك عربيتك .. مش كفاية إنك أخرتني.

- أنا فعلا آسف.

- وأسفك ده بقى هيرجعلي النص ساعة اللي ضاعت مني .. ولا مواعيدي اللي اتلخبطت كلها واتأخرت عليها بسببك؟!

محمد وبداخله بركان يحاول إخماده بقدر الإمكان حتى لا ينفجر في وجهها من غضبه الذي تثيره هي بكلماتها الحادة.

- أنا آسف يا آنسة .. ثم يذهب مسرعا لباب سيارته ليفتحه ويقفز بداخلها ثم يتحرك تاركا تلك الفتاة خلفه وعلى وجهها علامات الغضب.

يجلس أحمد بجوار والده بعد أن لاحظ عليه الغضب فيتساءَل:

- شكلك متضايق!

- لا مش متضايق ولا حاجة.

فيداعبه أحمد بكلماته:

- قول بس .. أنا زي والدك.

- الصراحة آه .. متضايق.

- ليه بقى؟!

- حصل موقف النهارده وعصبني.

- احكيلي يا ابني .. وأنا ممكن أساعدك.

- النهارده ملقيتش مكان أركن فيه .. فركنت صف تاني ولما خرجت لقيت صاحبة العربية اللي أنا قافل عليها وسمعتني كلام يحرق الدم.

فتتحرك رنا في اتجاههما ثم تجلس بجوار أحمد.

- أنت الصراحة غلطان يا بابا، بتركن صف تاني ليه؟!

- يعني أنا لقيت أولاني وقلت لا يا رنا.

فيقاطعهما أحمد:

- سيبك من كل ده .. هي حلوة؟

محمد باندهاش:

- والله لولا إن عادل ده صاحبي مش أخويا كنت قلت إنه وراثة.

- يا ابني بابا ملوش في الجو ده.

- عندك حق .. خلاص يا بابا متزعلش ومتركنش بردو صف تاني مرة تاني.

- تصدقوا .. أنا غلطان إني حكيتلكم.

- ما قولنالك خلاص متزعلش بقى يا بابا .. مش هنتفرج بقى على الكرتون يا أحمد؟

- آه يلا بينا.

تجلس سارة في أحد الكافيهات تنظر في الأوراق التي بيدها بعد أن أنهت مقابلة العمل وغادر أحد عملاء الشركة الجدد بعد توقيع العقود التي بين يدها.

فتتذكر تلك الحادثة التي مرت بها اليوم مع ذلك الشاب الذي يدعى محمد، فقد علمت اسمه ومكان عمله من رجل الأمن هشام الذي يعمل في البنك بعد أن وجدها تسأل عن صاحب السيارة التي تحاصر سيارتها، فتدور الكلمات بخاطرها:

- هو أنا إيه اللي قلته ده؟! مكانش ينفع أتعصب عليه كده.

- ما هو اللي غلطان.

- بس أنا زودتها معاه بردو.

- طب والحل؟

- أنا شايفة إني أروحله وأعتذر له.

- فعلا .. حل سليم.

ثم تنهي شرب الكابتشينو وتشير للويتر ليحضر لها الشيك.

يأتي اليوم التالي فتذهب سارة لمكان عمل محمد لمقابلته كما عزمت بالأمس، فتمر برجل الأمن هشام الذي يجلس على مكتبه الصغير وبيده كوب من الشاي وأمامه ساندوتشات الفول والفلافل.

- صباح الخير.

- صباح النور ..

ثم يجحظ عينيه أكثر ليدقق نظره بها ويعيد صورتها في ذاكرته:

- مش حضرتك بردو صاحبة العربية بتاعة امبارح؟!

- آه بالظبط كده .. كنت عايزه أقابل الأستاذ محمد.

- هو لسه ما وصلش، بس حضرتك ممكن تنتظريه في مكتبه .. هو خلاص على وصول.

- أوك .. ميرسي خالص.

ثم تهم للداخل باتجاه مكتب محمد بعد أن أشار لها هشام على مكانه.

تفتح سارة باب المكتب وتدخل ثم تغلق خلفها الباب، ثم تجلس على كنبة أمام المكتب في الجانب الآخر من الغرفة لونها أسود من الجلد فخمة الطراز تليق بالبنوك الخاصة.

ثم ينتابها شعور بالفضول لاستكشاف ومعرفة محتويات الغرفة فتنهض وتخطو خطوات بطيئة بين أرجاء الغرفة، لتجد مكتبة صغيرة بجانب الأريكة، فتلتقط كتابا من الكتب الموجودة بين الصفوف وتقلب بين صفحاته، فتجده يتحدث عن علم المحاسبة، فلم تستطع فهم محتواه فتطويه وتعيده إلى مكانه ثم تعود لخطواتها المتباطئة مرة أخرى حتى تصل إلى المكتب فتجد عليه الكثير من الأوراق والأدوات المكتبية بجانب جهاز كمبيوتر قديم الطراز إلى حد ما يتجاهله محمد كثيرا، ويلجأ لحاسوبه المحمول لينجز أعماله لحين أن ينوي البنك تغيير منظومة التكنولوجيا الخاصة به، ثم تلاحظ وجود صورتين محفوظتين في بروازين أحدهما به صورة لطفل وطفلة مبتسمين والأخرى صورة لفتاة جميلة الشكل تضحك ضحكة تظهر من خلالها مدى سعادتها في الحياة، ضحكة تخرج من القلب فقط

بصفاء ونقاء الماء لا تشوبها شائبة، لا تظهر سوى على شخص عاش حياته في سعادة تامة ليس بها لحظة أسى أو حزن.

تمسك سارة صورة أروى بين يدها وتسرح بها وهي تخطو خطوات دون إدراك تنتهي بها أمام أحد الكرسيين الموضوعين أمام المكتب، فتجلس على أحدهما وتضع حقيبتها على المنضدة الصغيرة الموضوعة بين الكرسيين أمامها وهي ما زالت تنظر لتلك الصورة التي تحتضن وجه أروى وبداخلها تساؤلات .. كيف لفتاة أن تكون بهذا الجمال؟ وكيف تستطيع أن تخرج كل هذه السعادة من بين شفتيها؟ فهل ما زال هناك أشخاص تستطيع أن تصل لهذه الدرجة من السعادة وتضحك مثل هذه الضحكة الصافية التي تخرج مباشرة من القلب؟

يخترق محمد بوابة البنك فيجد هشام أمامه:

- صباح الخير يا أستاذ محمد.

- صباح الخير يا هشام.

- الآنسة سارة جات سألت على حضرتك .. وهي في انتظارك في مكتبك.

فيعقد محمد حاجبيه بتعجب وتساؤل بداخله من تكون الآنسة سارة التي تنتظره؟ ولكنه لم يخرج من فمه حرفا واحدا، فيدير ظهره لهشام ويسرع إلى المكتب ليكتشف هوية تلك الفتاة.

يدخل محمد مكتبه فيجد وجه الفتاة التي عكرت صفوه بالأمس وأسمعته ما لا يحب في يوم من الأيام أن يسمعه.

فتنهض سارة في فزع وهي تضع يدها خلف ظهرها لتخفي الصورة.

- صباح الخير.

- صباح النور يا أستاذ محمد.

محمد وهو يتجه نحو مكتبه ليجلس:

- حضرتك بقى الآنسة سارة؟!

- آه .. بالظبط كده .. أنا الآنسة سارة.

- طب اتفضلي ارتاحي.

سارة بعد أن جلست وبداخلها شعور بتأنيب الضمير، فتحاول أن تنظر له وترفع عينيها بوجهه وعلى وجهها نظرات مليئة بالأسف والندم على ما بدر منها تجاهه، وقد نسيت أمر الصورة التي بيدها.

- نسيتي كلمة وجاية تقوليها ولا إيه؟!

وفي صوته حدة ممزوجة باللوم على ما سمعه منها بالأمس.

احمرَّ وجهها بعد أن أخجلتها كلماته وازدادت برودة يدها ووجهها.

- هو الصراحة أنا جيت النهارده علشان أعتذر عن اللي قولته امبارح .. أنا عارفة إني اتعصبت عليك أوي وقلت كلام سخيف.

ومحمد يهز رأسه بالموافقة على كلامها فيزيدها إحراجا أكثر.

- بجد أنا آسفة .. أنا في الغالب مش عصبية أوي كده .. بس مشكلة التأخير على مواعيدي هي اللي خلتني أتعصب كده.

- عموما أنا كمان آسف على مشكلة التأخير اللي أنا سببتهالك امبارح.

- يعني خلاص .. صافي يا لبن؟

- صافي يا لبن.

تنظر سارة في المكان وعلى وجهها ابتسامة خفيفة:

- حلو أوي مكتبك.

فيبتسم محمد بسخرية متسائلا بداخله، ما الذي سيكون جميلا في مكتب شاب يعيش وبداخله ميت؟ ربما ... لا لا لا بل أكيد هو الديكور والأثاث هو ما تقصده.

- شكرا على المجاملة الحلوة دي.

فهو منتظر منها أن تنهض وتغادر وتتركه يبدأ عمله وتنهي مقابلتها بعد أن وصلت رسالتها .. فلماذا ما زالت موجودة؟!

بينما سارة تتذكر ذلك الإطار الذي بيدها فتنظر لتلك الصورة ثم ترفع عينها بمحمد.

- لا بجد حلوة أوي.

فيظهر على وجهه علامة استفهام متسائلا .. هل ما زالت تتحدث عن مكتبه أم ماذا؟ لكن حلو الأولى مذكر، بينما الثانية حلوة وهي مؤنث .. ربما لديها مشكلة في لغتها العربية أو ربما تتحدث عن شيء آخر .. وأخيرا تفهم سارة نظرة التساؤل التي تظهر بعينيه، فترفع الصورة التي بيدها وتظهرها له لتخفي كل التساؤلات التي تدور بداخله، والآن قد عرف إجابتها.

- مراتك مش كده؟!

فينظر محمد للصورة التي بيدها ليعلم حينها أنها تتحدث عن عشيقته ومحبوبته، من امتلكت حياته بأسرها .. من عاش لأجلها .. ومن بعدها عاش منتظرا اللحظة التي سوف تعود بها لأحضانه مرة أخرى.

فيبتسم محمد لصورة أروى وكأنه يرسل تلك الابتسامة لها ولكنها ليست بنقاء ضحكة أروى، ابتسامة متألمة تحمل جرحا غائرا لا يلتئم أبدا.

وعينيه تلمع بالدموع التي يحاول بالكاد منعها من أن تسقط، وبداخله رجاء لابتسامته أن تساعده في إخفاء كل آلامه ولا

تلاحظ منها سارة شيئا .. ولكن آلامه كانت أقوى من ابتسامته حتى أنها عجزت عن مساعدته، فشاء القدر بأن يجعل سارة بنظرتها له أن تشعر بشيء ما لا تدري ماذا هو، شيء يظهر بملامح وجهه يدل على ألم وحزن، ولمعة بعينيه لا تدري سببها.

- آه مراتي ...

وهو يمد يده طالبا منها الصورة ليعيدها إلى مكانها على مكتبه.

فترفع سارة يدها تحاول أن تعطي محمد الصورة، فتصطدم يدها بحافة المكتب فتنزلق منها الصورة وتصطدم هي الأخرى بركن المكتب ثم تسقط أرضا.

قطع من الزجاج مبعثرة على أرضية المكتب بعد أن انكسر البرواز المحيط بالصورة المقلوبة على وجهها، لحظة صمت قاتلة تجول في المكان بعد أن وقفت سارة وهي تنظر للصورة في صدمة وفزع ازدادت بعد أن رأت على وجه محمد نظرة حزن كأن قلبه انكسر معها ووجهه تملؤه الصدمة والألم فتخرج منه دمعة دون إرادته لم يستطع منعها على ما حدث .. وكأنها طعنته بخنجر في صدره .. فالنظرة بصورة أروى على مكتبه بالنسبة له كأنبوبة أكسجين تساعده على الحياة وأن يلتقط أنفاسه، تساعده على الصبر والعمل لأجل أبنائه، تعطي له كل نظرة

جرعة من الأمل بأن اليوم المنتظر قادم وأنه ليس ببعيد، ذلك الوجه الذي عشق كل تفاصيله .. تلك الضحكة التي تبعث بداخله رعشة من أثر السعادة التي لا يشعر بها سوى معها، أروى تلك الفتاة التي انحسر في دائرتها ورفض الخروج منها من أول لحظة نظر فيها أمامه ليجدها جالسة بطفولتها وعفويتها وخصلات شعرها الناعمة على ظهرها والذي طالما عشق ملمسه ورائحته.

بينما سارة تنظر له بصدمة تملأ أركان وجهها وبداخلها تعجب من ذلك الألم الذي يسيطر عليه لا تدري أسبابه، فتجده يرمقها بغضب قاتل كمن ينوي الأخذ بالثأر.

- إنتي إيه اللي عملتيه ده؟! إنتي إزاي تسمحي لنفسك تقربي من حاجة تخصني؟!

سارة بفزع ورهبة:

- أنا آسفة.

- إنتي مش عارفة إنتي عملتي إيه .. امشي اطلعي برا ومتجيش هنا تاني ..

هكذا كان رد محمد بصوت حاد عالٍ يخرق أذنها، لتخرج سارة من مكتبه منكسة الرأس ودموعها تملأ عينيها متعجبة من غضبه الزائد على هذه الصورة، بينما محمد يميل بظهره ليلتقط

الصورة الملقاة على وجهها ودموعه تجري على خده ثم يضعها على مكتبه بعد أن طبع عليها قبلة من شفتيه المبلولتين بدموعه.

بعد لحظات يتذكر محمد سارة التي أسقط كلماته عليها كالرصاص فهو يعرف أنها لم تتعمد فعل هذا، فلماذا كان هو بتلك القسوة عليها؟ .. فيخرج محمد خلفها ليجدها قد وصلت للمدخل في طريقها للخارج، فيحاول أن يلحقها ليعتذر منها ولكنه يفشل فيجد هشام في وجهه، فأراد محمد أن يسأله عن تلك الآنسة التي لا يدري عنها شيئا سوى اسمها.

- هشام .. هو أنت تعرف أي حاجة عن الآنسة اللي خرجت دي؟

- والله يا أستاذ محمد معرفش غير إن اسمها سارة وبتشتغل في شركة الدعايا اللي قدامنا دي.

محمد وبداخله صراع مع ضميره الذي يؤلمه على ما بدر منه تجاه هذه الفتاة.

- ماشي يا هشام شكرا.

ثم يلتف عائدا إلى مكتبه فيجد عادل يقف ووجهه تغطيه ابتسامة تحمل في باطنها كثيرا من التساؤلات حول تلك الفتاة التي خرج محمد خلفها، فيدرك محمد حينها أنه على وشك الدخول معه في صراع حول أفكاره التي تدور بداخله حول تلك الفتاة وأفكار

محمد حول ما حدث مع تلك الفتاة، فهو يعلم جيدا أنه لا يمكن الاتفاق أبدا مع عادل على أفكاره تجاه الجنس الآخر، فلكل منهما نظرة مختلفة.

يلتقي محمد به في نقطة تلاقي تتوسط طريقه للمكتب فيتبعه عادل وهو يضحك، فيفهم محمد سر ضحكته، فهو يعرف عادل جيدا بكل وجوهه كما يعرف أحمد ورنا.

- يا أخي بقى صفي النية شوية .. وهو يدخل مكتبه وخلفه عادل.

عادل بسخرية:

- ما أنا كنت مصفيها يا أخي .. بس الشيطان شاطر بردو!

محمد يجلس على مكتبه ويضحك على ما قاله عادل ذو المراهقة المتأخرة، ثم يجلس عادل أمامه.

- ما أنا عارف إن شيطانك شاطر .. وأوي كمان.

- لاااااا .. المرة دي مش شيطاني أنا .. ده شيطانك أنت يا جامد .. بقى تبقى راقد على بيضة دهب زي دي ومتقولش؟!

- مفيش أي حاجة من اللي في خيالك المريض ده أصلا.

- أنت كمان هتكدب عيني؟! ما أنا شوفتك وأنت بتجري وراها.

- يا ابني ما أنت عارف وبقولهالك للمرة المليون .. بعدها مفيش حب .. لأنها حبي الوحيد.

فينظر له عادل نظرة رفق بحاله على ألمه الذي لا ينتهي لفراق زوجته، ثم يعيد لنبرته الجدية بعد هذه الجملة.

- طب ما تحكيلي؟

- فعلا أنا محتاج أحكيلك .. علشان تنصحني أتصرف إزاي.

- احكي.

- دي واحدة عملت معاها مشكلة امبارح بسبب إن عربيتي كانت قافلة على عربيتها .. وقالت كلام ضايقني .. فجاتلي النهارده تعتذرلي .. ووسط الكلام كلمتني عن صورة أروى وكانت في إيدها .. وهي بتناولهالي وقعت منها والبرواز اتكسر.

فيقاطعه عادل فهو يعلم جيدا طباع صديقه ورد فعله أمام أي شيء يضر بأروى أو حتى أي شيء يخصها.

- وطبعا أنت بهدلت البنت بعد الحادثة دي.

محمد برأس منكَّس:

- الصراحة آه .. وهي زعلت ومشيت زي ما أنت شوفت .. ولما جيت أعتذر لها ملحقتهاش .. والصراحة مش عارف أصلا هقول إيه لو كنت وقفت معاها.

- بهدلتها أوي يعني؟

- الصراحة .. آه.

- طول عمرك غشيم.

- أنت جاي تبكت فيا بالكلام ولا إيه؟! بقول ساعدني!

- طب هو الموضوع ده مهم أوي عندك؟

- هو كمان بقى موضوع؟! يا عم ولا مهم ولا حاجة، كل الحكاية إني حاسس بتأنيب ضمير .. وعايز أصلح الموقف .. لا أكتر ولا أقل.

- طب أنت تعرف عنها أي حاجة؟

- آه أعرف اسمها .. وهشام قال إنها بتشتغل في شركة الدعايا اللي قدامنا.

- طب يا عم .. ما هي اتحلت أهي!

- إزاي يا فالح؟!

- أنت تاخد بوكيه ورد، وتروحلها الشغل وتعتذر لها.

- وإيه بقى لازمته بوكيه الورد ده؟ هو أنا رايح أتقدملها!

- لا يا حيلتها مش هتتقدملها .. بس البنات بتحب الورد، وده هيساعدك أنت إنها تقبل اعتذارك على الكلام الزفت اللي سمعتهولها.

فينظر محمد لأوراق عمله بين يديه لا يبالي بأهمية هذه المشكلة بالنسبة له، فهو يسعى فقط ليريح ضميره المتألم لا أكثر.

- ماشي .. ماشي هشوف الموضوع ده بكره.

- ربنا يستر.

يذهب محمد لمنزله وهو يقلب كلمات عادل بجمجمته، هل يفعل ما قاله عادل؟ أم يترك الأمور كما هي ولا يهتم.

يجلس محمد على سريره وهو في حيرة من أمره لا يدري ماذا يفعل، ثم يتذكر تلك اللحظة التي أدت إلى هذه المشكلة، اللحظة التي شعر بها محمد بأنه طعن في صميم قلبه بيد تلك الفتاة دون عمد، فيخرج صورة أروى من جيب جاكتته التي احتضنتها بعد أن انفصلت عن إطارها لتظل قريبة لقلبه ثم يسرح في تفاصيلها باشتياق وفي صوت مبحوح من الألم:

- أنا آسف يا أروى.

يأتي صباح اليوم التالي بعد أن عقد محمد عزمه على أن يريح ضميره ونفسه التي لم تتركه في راحة مصرة أن تخبره بأنه على خطأ وأن هذه الفتاة لا ذنب لها، وأن كل ما حدث كان دون

إرادتها فهي أتت إليك لتظهر نيتها الطيبة، فلماذا تقابل طيبتها بهذه القسوة؟

ذهب محمد لأحد محلات الورد متبعا خطة عادل، ثم تابع طريقه إلى شركة "لايف" فيدخل الشركة حاملا بيده الورد وبزيه الرسمي الذي يرتديه لعمله الذي كان ينوي الذهاب له بعد أن ينهي مقابلته مع سارة وكأنه عريس ينوي الخطبة وبجيبه ماسة عروسته التي سيتوج بها بنصرها الأيمن.

يقابل محمد في طريقه شابا طويل القامة، أسمر اللون، نحيفا وبشعر كثيف فوق رأسه، فيسأله محمد عن مكتب الآنسة سارة، وبعد أن يصف هذا الشاب له المكان يتوجه محمد نحو مكتبها.

طرقتين على باب المكتب ليسمع بعدها بلحظات من الداخل صوتا ناعما يدعوه للدخول:

- اتفضل.

يدخل محمد ويغلق خلفه الباب، فيجد سارة جالسة على مكتبها وبيدها أوراق تنظر لها ويدها الأخرى تمسك بها ماوس الكمبيوتر ذي الشاشة الـ LCD وتحركه ببطء.

- صباح الخير.

فتسمع سارة تلك النبرة التي لم تكن غريبة بالنسبة لها فهي سمعتها من قبل ولكن انشغالها بعملها كان أهم من أن تتذكر

صاحب تلك النبرة، فمن الأسهل لها أن ترفع أعينها وتراه بدلا من أن تفقد تركيزها بعملها لتركز بتذكر صاحب الصوت.

ترفع سارة عينيها وتنظر فتجد ذلك الشاب الذي أبكاها بالأمس بكلماته القاسية، فعقدت حاجبيها دون أن تهتم بتلك الباقة التي بين يديه والتي فهمت من خلالها سبب زيارته ، فهو أراد الاعتذار على ما بدر منه بالأمس.

- صباح النور.

محمد يتقدم خطوتين ببطء وهو ناكس رأسه بأسف:

- أنا عارفة إن حضرتك متضايقة مني.

- طب اتفضل الأول ..

وهي تشير له بالجلوس .. وضع محمد بوكيه الورد على المكتب أمامها ثم جلس:

- أنا آسف.

- أنت عارف إنه مكانش قصدي.

- وهو ده اللي خلاني أصريت إني آجي وأعتذر لك.

سارة وهي تبتسم:

- هو بوكيه الورد حلو الصراحة .. بس مش ده اللي يخليني أقبل الاعتذار.

- طب إيه اللي يخليكي تقبليه؟!

- إنك تقبل عزومتي على قهوة في أي كافيه.

فقد شعرت سارة بفضول شديد تجاه ذلك الشاب الغامض الذي يبدو عليه الانكسار والوجع والتي تحاول معرفة أسبابهم ، وأسباب تلك الابتسامة التي يخفي وراءَها الكثير ، والدمعة التي رأتها في عينه في لحظة سقوط صورة زوجته .. فلماذا كل هذا الألم؟

تعجب محمد كثيرا من ذلك الطلب، لكنه اضطر للموافقة ليحقق الراحة لضميره المتعب وينجز هذه المهمة الثقيلة على قلبه حتى يطوي تلك الصفحة، فهو يرغب في أن يغلق هذا الملف المدعو سارة، الملف الذي وضعته الصدفة أمامه وهو مجبر أن يتعامل معه.

بينما هي تتعجب من جرأتها في طلبها هذا منه، وكيف جذبها فضولها بهذه الشدة لهذا الشخص ، فهي ترغب في فتح هذا الملف الأسود المدعو محمد، الملف الذي وضعته أمامها نفس الصدفة، فهي تريد معرفة ماذا يدور في هذا الملف؟

تجلس سارة ويجلس أمامها محمد في أحد الكافيهات وأمامهما فنجانين من القهوة.

- كده إنتي قبلتي اعتذاري؟

- آه .. كده خلاص قبلته.

فيشعر محمد براحة وأنه قد أنهى تلك المعاناة التي تلاحقه منذ أمس، ثم شعر برغبته في إغلاق ذلك الملف وأن تصبح تلك الجملة التي سمعها منها خاتمته، فتصطدمه سارة بسؤال لم يكن يتوقعه.

- بتحبها؟

فهم محمد سؤالها، وماذا كانت تريد أن تعرف .. ولكنه أحب أن يؤكد ما فهمه، فكانت إجابته لسؤالها سؤالا آخر.

- تقصدي مين؟

- مراتك!

محمد بعد أن تأكد من ما فهمه من سؤالها:

- هي كل حياتي.

- وهي بتحبك؟

- كنت كل حياتها ..

بنبرة متألمة، تنظر له بعدها سارة متعجبة وهي تميل برأسها يسارا بدهشة:

- كنت؟!

- أروى ماتت من سنتين باللوكيميا.

فيملأ الحزن وجه سارة على ما سمعته منه، وقد اتضح لها إجابات أول أسئلة وضعتها في صفحات ذلك الملف الأسود الخاص بهذا المعذب.

ثم تحاول سارة تلطيف أجواء الحزن التي سادت الحديث، فرسمت ابتسامة مصطنعة على وجهها بعد أن تذكرت تلك الصورة التي كانت بجوار صورة أروى على مكتبه.

- أنا شوفت صورة لبنت وولد جنب صورتها .. ولادك مش كده؟!

فيبتسم محمد رغم احمرار عينيه، فهو يحاول كبت دموعه بداخلها حتى لا تظهر فيظهر خلالها حزنه على أروى.

- آه .. عندي أحمد ورنا، ربنا بعتهم علشان يساعدوني إني أعرف أكمل في الدنيا.

فلم يعد هناك سبب لوجوده في تلك الحياة البغيضة المؤلمة سوى ذلك الهدف الذي يمده بالقوة لمجاراة الحياة، فقد أصبح أحمد ورنا هما كل حياته وهدفه الوحيد الذي يعيش لأجله بعد وفاة رفيقة دربه.

فشعرت سارة بمدى يأسه من الحياة بعد أن فارقت زوجته دنياه، وكأنه أصبح بنصف روح، مما زاد من فضولها، فخيط الفضول لم ينتهِ بعد فهناك بقية، لكنها شعرت بأن ليس الفضول فقط من

يجذبها لذلك الرجل، فربما هناك شيء آخر لم يتضح حتى الآن، فأرادت أن تستمر في طريق الفضول باحثة عن ماهية ذلك الشيء الآخر.

- أنا عايزه أشوفهم.

فيتعجب محمد من ذلك الطلب، فهو يريد أن ينهي ذلك اللقاء بعد أن تمت مهمته بنجاح في القضاء على تأنيب ضميره، ليعود لسابق عهده وكأنه لم يصادفها يوما ما .. فلماذا ترغب هي في أن تتعمق في ظلامه أكثر؟

- أشقيا .. وهيتعبوكي أوي.

فهو يبعث لها في هذه الجملة رسالة بالرفض، لكن بطريقة لا تحمل أي إحراج لها وله، فتمسك هاتفه من على الطاولة لتبعث لنفسها برنة لتعرف من خلالها رقمه، ثم تسجله بهاتفه باسمها والآخر باسمه بهاتفها.

ثم تمد يدها حاملة هاتفه له فتجد في وجهه دهشة وتعجب من تلك الجرأة، فتزيد هي دهشته بآخر جملة تنطق بها.

- أنا عازمة نفسي عندك يوم الجمعة على العشا.

❁❁

تصارع النفس

يقف محمد في مطبخه بين تجهيز الطعام الخاص بعزومة سارة الإجبارية بالنسبة له، مرتديا مريلة المطبخ ذات اللون الأحمر وأسفلها يضع على جسده قميصا رمادي اللون وبنطالا أسود، وقد هذَّب ذقنه وجعلها خفيفة.

بينما تقف معه رنا وأحمد يساعداه في إعداد الأطعمة، فيتذكر محمد أنه يرغب في إرسال عنوانه لها في رسالة هاتفية فيلتفت لابنه أحمد:

- أحمد .. هاتلي موبايلي من على التربيزة برا .. علشان أبعت العنوان للآنسة سارة.

فيجري أحمد مسرعا ليجلب لوالده الهاتف ثم يعود له ليعطيه إياه، فيمسك محمد هاتفه ويجري اتصالا فاترا بـ سارة بعد أن علم من ساعة هاتفه أنها أصبحت السابعة مساءً.

- ألوووووو.

- أيوه يا أستاذ محمد.

- حضرتك جهزتي خلاص؟

- آه .. ومستنية العنوان.
- أوك .. أنا هبعتهولك في رسالة دلوقتي.
- أوك .
- مع السلامة.
- سلام.

ينهي محمد اتصاله بالضغط على الزر الأحمر بهاتفه ثم يبعث لها برسالة حاملة عنوان المنزل والطابق الذي توجد به شقته.

يعود محمد لعمله في المطبخ مرة أخرى وهو متأفف يشعر بضيق من تلك الزيارة التي لا يوجد لها سبب مقنع، لا يدري ما سبب طلبها الحقيقي لهذه الزيارة فهو لم يقتنع بحجة رؤية أولاده ولكن ليس هناك دليل يؤكد له تلك الشكوك والتساؤلات التي تدور بداخله، فيجري مع عقله حوارا غير مسموع:

- أنا مش فاهم سبب الزيارة دي إيه!
- مش المفروض الصدفة دي تنتهي في آخر مرة اتقابلنا فيها؟! ليه هي مصممة تقحم نفسها في حياتي تاني؟!
- يا رب بقى تكون دي آخر مرة أشوفها فيها .. وتطلع برا حياتي خالص.
- لا بجد أنا مش مرتاح كده.

- يا رب الليلة دي تعدي على خير .. ومتحاولش تتعمق أكتر في حياتي.

فتقطع رنا حواره الصامت بصوتها الطفولي الناعم:

- بابا .. مش الآنسة سارة دي صاحبة العربية بردو؟

- آه يا رنا .. هي.

فينظر محمد لأحمد ورنا نظرة رجاء وهو يطلب منهما طلب الأهل المعتاد في مثل هذه المناسبات.

- ممكن يا أحمد أنت ورنا تبقوا مؤدبين قدامها .. وبلاش لماضة.

فينظر أحمد لوالده نظرة مليئة بالثقة في النفس:

- متقلقش يا بابا .. احنا النهارده هنشرفك.

- ربنا يستر.

دقائق كثيرة تمر على محمد وهو ما زال يعمل في تجهيز الطعام حتى يأتي صوت جرس الباب، فيعلو صوت محمد من المطبخ ينادي على ولديه طالبا من أحدهما أن يذهب لفتح الباب حتى ينهي هو ما بيده ويلحقهم.

فتجري رنا نحو الباب:

- أنا يا بابا اللي هفتح الباب.

تفتح رنا الباب فتجد سارة تقف أمامها فترفع رنا رقبتها لأعلى لترفع نظرها حتى تصل لوجه تلك الفتاة المنتظرة.

- حضرتك الآنسة سارة؟

تبتسم سارة في وجهها ابتسامة طفولية تليق بـ رنا:

- آه .. وإنتي بقى أكيد رنا؟

- آه .. أنا رنا.

فتمد سارة يدها لتصافح يد رنا الصغيرة، ثم تمسك رنا بيد سارة بين أصابعها وتتجه بها للداخل فتغلق سارة خلفها الباب بيدها الأخرى ثم تتابع طريقها مع رنا لداخل المنزل.

تنادي رنا على والدها وهي تجر سارة خلفها من يدها:

- باباااااااا .. الآنسة سارة وصلت أهو.

فتجد سارة أحمد يقف في منتصف الطريق في انتظارها وقد بدا على وقفته الرزانة والوقار، فتتعجب سارة من وقفته بينما هو ينظر لها وهو يمد يده لها ليصافحها.

- إزي حضرتك يا آنسة سارة.

قالها أحمد بنبرة سفير يستقبل وفدا أجنبيا، نبرة يتخللها احترام ورسمية وكأنه قرر اتباع برتوكول الزيارات الرسمية.

- الحمد لله يا أحمد .. أنت بقى عامل إيه؟

أحمد وهو ما زال يضع على وجهه وجه سفير:

- أنا الحمد لله بخير .. اتفضلي معايا.

وهو يتقدمها ليرشدها للمكان الذي ستجلس فيه.

يخرج محمد من المطبخ بعد أن أنهى ما بيده فيجد ذلك المشهد أمامه، فيقف ويراقب المنظر وهو في ذهول من ما أصاب أولاده من داء الأدب هذا متمنيا من الله أن لا يشفي علتهم هذه وأن تدوم عليهم هذه الهبة.

فيذهب محمد خلفهم فيجدها تجلس على أريكة الأنتريه وهما يجلسان بجوارها يتأملان كل قطعة فيها وكأنها من كوكب آخر، شيء جديد لم يتم اكتشافه بعد وهي أول عينة خرجت من هذا المختبر وجاري فحصها، يلقي محمد كلمات الترحيب المرغم عليها وهو في طريقه إليها.

- أهلا .. أهلا والله نورتينا النهارده.

كلمات تخرج مخالفة لما يدور بداخله، كمن يطلب من شخص الدخول لمنزله وهو يرحب به ويغلق بوجهه الباب قبل أن يلبي طلبه، تناقض كبير لما يرسمه محمد على وجهه وما يدور بداخله من رفض تام لوجود هذه الفتاة بحياته، فكم يتمنى أن تكون هذه الزيارة هي الأخيرة التي تجمعهما معا.

فتقف سارة وعلى وجهها الابتسامة الخجولة وتمد يدها لتصافحه وبعد أن صافحها محمد تعود لمكانها.

- أنا شكلي النهارده تعبتك أنت والولاد؟

- لا تعب ولا حاجة .. ده حتى الولاد مبسوطين أوي النهارده.

وقد تعمد أن يبتعد عن وصف شعوره هو تجاه هذه الزيارة.

تفتح سارة حقيبة تحملها بيدها لتخرج منها تلك الألعاب التي ذهبت لشرائها من أحد محلات الألعاب لتهديها لمحمد ورنا اليوم كهدايا يتذكرونها بها.

فتظهر علامات الفرح والسعادة على وجه أحمد ورنا فتعطي سارة لهما الألعاب.

- ودول هديتي ليكم النهارده.

- وليه بس تعبتي نفسك كده؟!

- متعبتش ولا حاجة .. أنا النهارده جاية مخصوص علشانهم.

يلتقط كلٌ منهما لعبته وهم يلقون على آذانها كلمات الشكر ومحمد ما زال مندهشا من داء الأدب الذي تغلب عليهم وانتشر بخلاياهم، فيظل يراقبهم ثم يلقي عليهم كلمات تجعلهم يتركا هذه الألعاب من أيديهما.

- طب مش يلا بقى بينا علشان نجهز السفرة؟

- طب والآنسة سارة من هتساعدنا.

- اسمها طنط سارة يا رنا .. ده بعد إذنها طبعا؟

فتهز سارة رأسها بالموافقة على كلامه.

- طب طنط سارة مش هتساعدنا؟

فيتمتم محمد بضيق:

- شكل اللماضة هتبدأ .. لا يا رنا سيبي طنط مش عايزين نتعبها .. دي ضيفتنا النهارده.

فتنهض سارة من مكانها:

- لا أنا هساعدكم .. يلا بينا.

فتعد سارة الأطباق على السفرة بينما محمد يجهز الأطباق في المطبخ ويساعداه أحمد ورنا ، لحظات تمر لتكتمل خلالها السفرة، فيجتمعوا ليجلسوا عليها ليبدأوا تناول الطعام.

أحمد وهو يتذوق أول قطعة من الطعام فيظهر على وجهه علامات الرضا عن مذاقه:

- بقالك كتير يا سي بابا معملتلناش أكل حلو كده!

فيشعر محمد بالحرج بعد سماع تلك الكلمات فيحاول أن يداريه بابتسامة تحمل في باطنها غيظا لم تستطع ملامح وجهه تجاهلها، فتلاحظ سارة ملامح محمد فتبتسم وتعود بنظرها للطبق الذي يقطن أمامها على السفرة حتى لا تشعره بالحرج.

- طب بالهنا والشفا يا أحمد.

فتكمل رنا الموقف لتزيد والدها إحراجا:

- طب لما أنت بتعرف تعمل أكل حلو كده، هارينا أكل من بره ليه؟!

فتخرج ضحكة عالية من سارة دون إرادتها، عجزت عن كتمها على كلمات رنا، فيبتسم محمد.

- مش قولتلك؟! .. بس إنتي اللي مش بتسمعي الكلام .. آديكي شوفتي الشقاوة بعينك.

- متسيب الولاد يقولوا رأيهم بصراحة.

بنبرة سخرية يتحدث محمد لأولاده:

- إيه بقى يا ولاد؟ في غسيل تاني هننشره ولا كفاية كده؟!

فترفع رنا أحد حاجبيها:

- لا .. أنا شايفة إن كفاية كده.

فتتعالى ضحكاتهم وهم على مائدة الطعام وهو يحاول أن يخفي ذلك الضيق الذي بداخله حتى لا يشعرها بالحرج، فهو يريد أن يمضي هذه الأمسية بطريقة ودية لا يشوبها أي مشاحنات أو غضب حتى لا تضعه الظروف أمامها مرة أخرى.

تنتهي لحظات تناولهم للطعام فيهموا بجمع الأطباق ونقلها إلى المطبخ ثم يذهب كلٌ من أحمد ورنا بعد غسل أيديهم لاستكمال

لعبهم بتلك الألعاب الجديدة تاركين والدهم بصحبة سارة يكملان أعمال المطبخ.

- قهوة ولا شاي؟

- قهوة.

- بتحبيها إيه؟

- مظبوط.

فيستعد محمد لتجهيز فنجانين من القهوة بينما سارة تخرج من المطبخ متجهة نحو السفرة لتجلس على أحد كراسيها منتظرة القهوة.

ينهي محمد عمل القهوة ويصبها في الفنجانين ويضعهما على الصينية ثم يحمل الصينية ويتجه بها نحو السفرة فيضع أحد الفنجانين أمام سارة والآخر أمامه ثم يضع الصينية على السفرة ويجلس على أحد الكراسي التي أمامها.

سارة تتفحص أركان المنزل بنظرها وهي جالسة أمامه:

- حلوة أوي شقتك! .. ذوق أروى مش كده؟

- فعلا كل حاجة في الشقة كانت اختيارها هي .. أنا سبتها تختار كل حاجة على ذوقها لأني كنت بحبه أوي .. ومغيرتش أي حاجة من بعدها .. كل حاجة هنا بتفكرني بيها.

- مفكرتش تتجوز تاني؟

- مستحيل أفكر غير فيها هي وبس .. مفيش واحدة ممكن تاخد مكانها.

فيدور بداخلها تعجب من هذا الشخص، فهل هناك هذا النوع من الإخلاص في عالمنا هذا؟ وهل ما زال هناك هؤلاء الأشخاص الذين يفهمون معنى تلك الكلمة؟ فمفهوم الإخلاص لديها ذهب مع مفهوم الحب ولم يعد ، أو ربما رفض العودة لهذا العالم البغيض، هؤلاء البشر الذين يصارعون الحياة وما فيها بمفاهيم أُخرى كالمال والشهوة وتحقيق الرغبات بشتى السبل حتى السيئ منها، فهي لم تعرف في حياتها سوى مفهوم الخيانة الذي كان مغروسا في صميم مفاهيمها.

ينظر محمد لذلك الفنجان الذي بيده يتأمله بينما بداخله غصة، آلام لا تشفى ولا تسكن أبدا ، ألمه على فقدان حب عمره ، بينما سارة تتأمل ألمه الظاهر في كل مقطع من وجهه وكذلك نبرة صوته.

ذلك الرجل الذي كسر قواعدها في الحياة وأثبت لها أن لكل قاعدة شواذها، ها هو قد ظهر ذلك الشاذ عن قاعدة الخيانة والذي ما زال يحافظ على مفهوم الإخلاص بكل معنى الكلمة.

محمد بنبرة الأسى التي أصبحت أساسية فيه ومن ضمن أحباله الصوتية:

- كانت حب حياتي كله .. مشوفتش بنت غيرها ومحبتش أشوف غيرها .. بتحرك كل حاجة فيا بنظرة واحدة من عنيها، بحس إني ملكت الكون بكلمة منها .. كأن قلبي وروحي وعقلي محفور عليهم اسمها وهي بس اللي معاها مفاتيح قفولهم كلها! عشقت كل حاجة فيها، كل حاجة كنت بشوفها أو حتى لا .. يكفي إنها جزء منها.

فتشعر سارة بألمه المرسل لها في كل كلمة تخرج من فمه، فتخرج من بين جفونها دمعة فيلاحظها محمد فيعيد الفنجانين لتلك الصينية بأيادي مرتعشة وينهض ذاهبا بها للمطبخ وبداخله بعض الحمم البركانية التي خرجت من ذلك البركان الخامد الذي يسكنه والذي ينشط مع كل لحظة يتحدث فيها عن محبوبته، ذلك البركان الذي يرغب في الانفجار من أول لحظة غادرت بها أروى لعالم آخر.

يشعر محمد بصعوبة في التنفس وكأن حجرا يزن أطنانا موضوع فوق صدره يعيق تنفسه، يزداد احمرار جفونه مانعا تلك الدموع من الخروج، وآهات تتصارع بداخله بصوت يكاد

يسمعه من حوله يحاول كتمها منذ أن توارى جسد تلك الفتاة تحت التراب، كم تمنى تلك اللحظة التي سيصرخ بها بصوت مسموع ويخرج كل ما بداخله، يبكي بآهاااات تصل لآخر العالم عليها، وينثر دماء ذلك الجرح الذي يشق صدره لنصفين.

يخرج محمد من المطبخ وهو يحاول تنظيم أنفاسه فيجد سارة قد غادرت مكانها فينظر حوله باحثا عنها ولكن لا يجدها، فيتجول محمد في المنزل باحثا عنها فيلاحظ أن باب غرفة نومه مفتوحا فيدخل الغرفة ليجد سارة تقف أمام ذلك المنظر الذي يستوقف كل من يراه ويتمنى أن ينعم به ولو للحظة واحدة في عالمه.

جبال عالية ذات خضرة كثيفة حتى غلب عليها اللون الأخضر، تتناثر عليها الصخور الصغيرة الرمادية، يعلو أحد هذه الجبال كوخ صغير لونه أبيض بينما يتوسط أحد جبلين شلال من المياه النقية الشفافة التي تظهر تلك الصخور من تحتها، ويعلوها سماء صافية اللون، فيقف محمد بجانبها دون أن تنبس شفتاه بكلمة واحدة وهو يجول بذكرياته.

أروى مضجعة على سرير غرفة نومها وهي ترتدي قميصا أسود من الستان لامع يرسم كل جزء بها، يضفي عليها جمال نجمة تلمع في زرقة السماء في مساء هادئ ونسمة باردة وهي تسند رأسها بيدها اليسرى، تسرح في ذلك المنظر الزيتي

الموضوع داخل برواز ذهبي اللون المعلق على الحائط، فيأتي محمد وهو يتأمل جمالها بينما هي تنظر لذلك المنظر البديع فيجلس بجوارها.

- عارف الصورة دي؟ كانت أول حاجة أفكر أحطها في أوضة النوم.

وهي ما زالت تنظر للوحة.

- اشمعنى؟!

- ليها ذكريات معايا حلوة أوي.

محمد وهو يداعب خصلات شعرها المنسدلة على وجهها:

- احكيلي؟

- كل يوم وأنت بعيد عني كنت بسرح فيها، بحس أنها بتديني أمل إن هيجمعنا يوم من الأيام مكان زي ده .. وإننا هنبقى مع بعض مرة تانية.

محمد بصوت هادئ:

- بحبك .. وهو يميل على كتفها ليقبله صعودا حتى يصل لرقبتها بينما هي تضحك بصوتها الأنثوى الناعم.

صرخات مدوية قادمة من الخارج تقطع ذكريات محمد وتأمل سارة لتلك اللوحة فتنظر سارة لمحمد في فزع.

- ده صوت رنا.

تخرج منه الكلمات في صدمة، فيجري كلٌ منهما للخارج ليتفقدا الأحداث.

رنا ملقاة على الأرض وهي تمسك بذراعها الأيسر وتصرخ بينما يقف بجوارها أحمد وهو مذهول لا يدري ماذا يفعل.

محمد بفزع:

- إيه اللي حصل يا أحمد؟!

- رنا وقعت واحنا بنجري.

- وقعت إزاي؟

- على دراعها.

فيهم محمد بجمع أشياءَه من هاتف ومفاتيح شقته بينما تجري سارة وتحمل حقيبتها ، فيحمل محمد رنا بين يديه في عجلة ويخرج وتتبعه سارة وأحمد متجهين إلى المستشفى.

يجلس الدكتور على مكتبه وهو يتأمل الأشعة التي بين يديه ومحمد ينظر له بتوتر منتظرا الرد وعلى وجهه علامات الخوف على ابنته.

- هو الكسر في المعصم، ومضطرين نجبس إيدها لمدة شهر.

يعود محمد لمنزله وهو حاملا رنا بعد أن زاد وزنها ما يعادل جبس يدها، وخلفه سارة تمسك بيد أحمد بعد أن أصرت أن تظل معه ولا تتركه حتى تطمئن على رنا.

وكأن القدر يفرض عليه رؤية تلك المغتصبة لحياته مرة أخرى، ولا تحقق رغبته في إبعادها عن حياته.

محمد وهو يضع رنا على سريرها وتقف سارة بجواره:

- أنا آسف بقى يا سارة إني أخرتك .. أكيد في البيت قالقانين عليكي؟

فتبتسم سارة ابتسامة سخرية كمن تخفي وراءَها كثيرا عن واقعها:

- المهم نطمن على رنا .. أنا هستأذن دلوقتي وهعدي عليكم بكره أطمن عليها.

محمد يندهش بعد أن صعقته كلماتها فهو يريد أن تكون هذه هي زيارتها الأخيرة وآخر مقابلة تجمعهما معا ولكن للقدر الكلمة الأقوى.

فيلقي عليها جملته التي في باطنها طلب بعدم تكرار الزيارة:

- لا متقلقيش عليها .. دي هتبقى كويسة وزي القردة كمان.

بينما يزداد إصرار سارة:

- لا أنا لازم أطمن عليها بنفسي.

تزداد زيارات سارة لمنزل محمد بحجة الاطمئنان على رنا وعلى سلامتها، ويزداد معها ضيق محمد من رؤية هذه الفتاة التي تقتحم حياته رغما عنه، ذلك الضيق الذي يعارض شعور ولديه تجاه تلك الفتاة، والذي يزداد حبهما لها يوما بعد الآخر وينتظران زيارتها كانتظار فرحة يوم العيد.

لا تخلو زيارتها من كلمات محمد الحادة التي تحمل معنى إنهاء تلك الزيارات في كل مرة تأتي لزيارتهم، فيجعل أروى بطلة أحاديثه معها حتى يبعث لها رسالة متمنيا منها أن تفهم مغزاها بأن أروى هي ما ملكت قلبه وأنه لن يسمح لأحد آخر بأن يسكن في قلبه بدلا منها، وأنها مهما أظهرت من اهتمام وعناية ومهما حاولت جاهدة أن تملأ ذلك الثقب الذي أحدثه الحزن على أروى بداخله فلن تفلح في تلك المحاولات، فبداخله شكوك بأن تلك الزيارات لها أسباب أخرى تشارك سبب رنا ولكن كل هذه الأفكار مجرد شكوك يسعى للتأكد منها.

بينما تزداد رغبة سارة في تكرار الزيارات وهي تعلم جيدا أن رنا ليست السبب الرئيسي وأنها ربما هي الآن كارت يسمح لها بأن ترى ذلك الشخص الذي يجذبها أكثر وأكثر في كل مرة تراه فيها، وفي كل حديث معه عن تلك الفتاة التي يعذب لفراقها.

تستمتع بكلامه، تسرح بتفاصيله، في مدى إخلاصه لها، وفي ذلك البحر من الوفاء لزوجته الذي يغوص بأعماقه دون أن يكل أو يمل، يتجرع ملوحة فراقها ولا يتعب ولا يقلل من إصراره على الوفاء لها والحفاظ على حبهما بل يزيده إصرارا، يزداد إعجابها به يوما بعد الآخر، لا تهتم لكلماته الحادة التي تفهم معانيها وما تحمله من رسائل طرد من حياته، بل تصر في تقربها منه.

سارة تلك الفتاة الفاقدة لمعنى الإخلاص، فلم تسمح لها الظروف يوما أن تثبت لها العكس لتدخل تلك الكلمة في قاموسها، فكيف لفتاة مثلها أن تدرك أن هناك رجلا مخلصا على هذه الأرض، فهي ابنة لرجل ما يدعى بـ "زير النساء"، ذلك الرجل الذي يبدل نساءَه كما يبدل ملابسه، وربما أسهل من تبديل ملابسه، يلهث وراء أحذية الإناث غير مكترث لعمره أو لعمرها أو لابنتيه اللتان حظي بهما من زوجته الثانية والتي ما زالت متربصة على ذمته، أموال كثيرة ساعدته على جريمته تخضع له كل من لها حلم تريد تحقيقه، أكثرهن صغار في السن لا يكترثن لعمر ذلك البعل، كل ما يسعين خلفه هو الأموال، ولا شك أن أساس البنود الذي يترأس عقد الزواج عرفيا كان أو رسميا هو عدم الإنجاب حتى يخرج خفيفا كما دخل خفيفا .. فأم الأولاد

سيضطر لإبقائها لتحظى بنعيمه أكثر وربما بجزء من ميراثه بعد عمر طويل.

وكذلك هي ابنته .. ابنة لامرأة اعتادت خيانات زوجها لها، خيانات شرعية والأكثر منها غير شرعية، تحملت منه جميع أنواع الإهانات والضرب، وصبرت لتجعل لابنتيها مستقبلا.

سارة الابنة الكبرى وتلك الفتاة التي حملت معاناة والدتها على ظهرها منذ أن فتحت أعينها على العالم، زرعت والدتها بداخلها حصيلة ما مرت به من معاناة وألم، تلك الأفكار السيئة عن الرجال، التي تحمل لفظ التعميم فما من رجل مخلص، هم لا يعرفون معنى الوفاء، يسعون دائما وراء مصالحهم الشخصية وما يرغبون به، لا يدرون معنى الحب غير حب الشهوة، حب الجسد وحب الامتلاك.

أفكار مسمومة نشأت عليها تملأ عقلها ، عبثت بكيانها ومفاهيمها، بدّلت نظرتها للرجال رأسا على عقب قبل الأوان، أصبحت كوردة ذبلت أوراقها قبل أن تتفتح وترى العالم من حولها، ذبلت بعد أن تجرعت قطرات السم بداخلها، فكيف لفتاة مثلها أن تتوقع وجود مثل هذا الشاب الذي صادف حياتها.

تقف سارة في شرفة شقتها التي توجد في الطابق الخامس وبيدها كوب النسكافيه تتصاعد منه سحب بخارية، وهي مرتدية بيجامة

حمراء مختلط بها قلوب سوداء، تحتضن بيديها النسكافيه وهي تسرح في كلمات محمد وحبه لأروى، ذلك الثقب الذي يملأ صدره، تلك الحياة التي لا يقوى على تكملتها بدونها، صراعه مع الزمن ليقابل اليوم الموعود.

جرس الباب يوقظها من تلك اللحظات الجميلة التي تهيم بها، ونغمات الحب التي تتوه بين سلمها الموسيقي لتذهب مسرعة تنظر في تلك العين التي تتوسط باب شقتها لتجدها فتاة تمسك بيده حقيبة كبيرة فتهم مسرعة تفتح الباب لذلك الوجه المألوف.

- زعلك بردو؟

- أنا خلاااااااص .. زهقت من البيت ده وجبت آخري.

كانت هذه الفتاة آلاء، فتاة تبلغ من العمر العشرين عاما، نحيفة الجسد، بيضاء البشرة بلون شاحب اعتادت على إخفائه وراء كريمات الأساس، شعرها بني قصير لامع في ضوء النهار.

اعتادت آلاء على مشاحنات والدها مع والدتها وعلى رؤية كثير من النساء في حياة والدها، تلك هي الأخت الصغرى لسارة والتي كانت تلجأ لأختها لتسكن معها فترات متقطعة في كل مرة تشعر بأن بطارية الغضب ونفاد الصبر قد امتلأت من تلك العيشة فتذهب لأختها لتعيد شحن بطارية الصبر والهدوء

وتتجاهل واقعها لفترة من الزمن تنسى خلالها مشاكل عائلتها وعيوب والدها.

تعدل آلاء من ملابسها بعد أن بدّلتها ثم تذهب وتتفقد أختها في المطبخ فتجدها تطهو لها البيض فهو أسرع شيء يمكن طهوه في الليل.

فتنظر لها سارة ويعتلي وجهها ابتسامة سخرية:

- إيه بقى اللي حصل المرة دي؟

- بيفكر يتجوز بنت أصغر مني .. تخيلي؟!

فتضحك سارة ضحكة عالية على هذه الجملة التي سمعتها وكأنها ألقت عليها نكتة مضحكة .. مزحة قديمة سمعتها كثيرا من قبل .. بل وعاشتها أيضا، لكنها ما زالت مضحكة رغم تكرارها على مدار السنين التي عاشتها مع والدها.

سارة بعد أن أنهت ضحكتها الساخرة:

- إنتي عملتي الصح إنك جيتيلي .. أنا أصلا محتاجالك.

- ليه؟!

سارة وهي تعد مائدة الطعام:

- احنا ناكل الأول وبعدين نحكي براحتنا.

يجلس محمد أمام التلفاز وبيده سيجارة تتآكل بشعلتها، من يراه وهو يحدق بالشاشة يشعر بمدى أهمية ما يشاهده كمترقب

لماتش لفرقته المفضلة أو من يتقمس دور البطولة في أحد الأفلام التي يشاهدها ويتابع أدق تفاصيلها باندماج . يسرح بالشاشة وكأنه يتابع بتشوق الأحداث التي تدور بداخل مسلسل لم يشاهد له حلقات من قبل، لا ينظر أحد لما بداخله .. لعقله الذي يلهث في عالم آخر وقلبه الحائر وراء محبوبته الضائعة من عالمه.

يسحب أنفاسا من سيجارته وهو يتذكر تلك الفتاة، يسرح بها ويزداد تعجبه منها ومن إصرارها على زيارته والتحدث معه في كل فرصة تسنح لها رغم أن كلماته معها حادة تحمل كل معانى الطرد من حياته، ولا تحمل شيئا يزيد من ذلك الانجذاب الذي تعاني منه تجاهه.

يلقي بوجهها حججا واهية وأعذار ليبعدها ويمنع زيارتها ولكن هيهات أن تسمعه فيسرح بها وبداخله حوار مع نفسه:

- أنا لازم بقى أخلص من الموضوع ده بأي طريقة، وأقول لها إنها متظهرش في حياتي تاني.

- طب وولادك اللي حبوها واتعلقوا بيها؟ ! هتقنعهم إزاي؟

- ما هي دي المشكلة! مش عارف أعمل معاهم إيه!

- مش شايف إنك قاسي أوي عليها؟ لا وأناني كمان؟

- لا .. وإيه القسوة في كده؟ ! أنا عايز أرجع لحياتي الأولى، حياتي مع أروى وبس .. لكن وجودها بالطريقة دي ملخبطلي كل حاجة .. مش مرتاح لوجودها.

- خايف .. صح؟

- من إيه؟

- إنك تقع.

- مستحيل حد هياخد مكان أروى.

- خلاص حافظ على حبك ليها وابعد سارة عن حياتك خالص.

- ما هو ده اللي هيحصل.

تقف سارة في الشرفة وبين شفتيها الورديتين سيجارة تستنشق دخانها وتتطاير معه في السحب بأفكارها، بينما آلاء تدلف للشرفة ببطء محاولة السيطرة على اتزانها حتى لا تسقط كوبين الشاى اللذين تحملهما بأيديها ، تعطي سارة أحد الكوبين وتحتضن بكفيها كوبها ثم تشير لها بنظرة تفهمها سارة على ما بين شفتيها.

- لسه بتشربي!

- أحيانا مش دايما.

- شكلك واضح عليه .. إنك كنتي فعلا محتاجالي .. احكيلي بقى مالك؟

فتسرد عليها سارة ما مرت به مع محمد منذ أن التقت به أمام سيارته حتى آخر زيارة جمعتهم في منزله.

آلاء بجحوظ عينين وصرخة بذهول متسائلة:

- روحتي بيته؟!!!

سارة بابتسامة ببرودة الثلج لا تحمل أي إحراج:

- شوفتي بقى الجرأة! مش عارفة هي جاتلي منين! بس فجأة حسيت إني محتاجة أعرف عنه أكتر ، وأشوف حياته ماشية إزاي وأقرب منه.

- يعني إنتي منعتي أي ارتباط من ساعة اللي ما يتسمى علشان تقعي في ده!

فتضحك سارة على حالها ثم تعقب على جملة أختها:

- أنا فعلا شكلي وقعت.

ثم يعود لصوتها الهدوء وهي تكمل:

- عارفة يا آلاء بحبه وهو بيتكلم عن حبه لأروى، عارفة الحب الأسطوري اللي بنلاقيه بس في القصص والحكايات اللي بنقراها واحنا صغيرين، حاسة إني لقيته معاه ، حاجة خرافية مش موجودة في عالمنا

خالص، في كل مرة بيحكيلي عنها ببقى نفسي أعرف أكتر وإعجابي بيه بيزيد.

ثم ترشف من كوبها رشفة وتعود لكلماتها التي تحملها لعالم آخر من الخيال في نقاء حب ضائع في عالم ليس بعالمه.

- إزاي لسه في حد بيحب كده ومخلص كده .. حاسة إني لقيت معاه حاجات أنا بدور عليها من زمان ، حاجات ضاعت مني قبل ما ألاقيها .. لقيت شيء بيكملني، آه يمكن هو مش حاسس بيا .. بس أنا حاسة بيه وأوي كمان .. نفسي أدوق جزء من الحب ده، نفسي يدخل في حياتي حد أثق فيه كده.

- شكلك حبيتيه.

- بس عارفة إني هو مش بيفكر فيا حتى.

- وهتكملي بالشكل ده؟

- أنا ما صدقت لقيته ومستحيل هستسلم، أنا عرفت إن عيد ميلاده بعد يومين ومجهزة له هدية حلوة.

آلاء تغمز بعينها اليمنى:

- يا سيدي يا سيدي.

- ادعيلي بقى إنها تعجبه.

- ربنا معاكي.

تجلس سارة خلف رنا وتمسك بأصابعها خصلات شعر تلك الصغيرة محاولة أن تحقق رغبتها بعد أن طلبت منها أن تصنع لها تلك الضفيرة الصغيرة التي اعتادت عليها رنا في حياة والدتها التي غابت عن شعرها بغياب أروى، فمنذ أن رحلت والدتها عن عالمهم لم يعد هناك أحد يصنعها لها ، وبعد محاولات كثيرة من محمد في تعلمها لكي يصنعها لها محاولا منه أن يسعد ابنته لم تنجح محاولاته حتى أنه كره تكرار المحاولة ، وها قد وجدت رنا ذلك الشخص الذي سيحقق لها أمنيتها.

يدلف محمد لغرفة ابنته بخطوات جدية بعد أن عقد العزم على أن يضع حاجزا بينه وبين سارة، ويقطع سيرتها من حياته نهائيا بعد أن يبوح لها بما يكنه في صدره تجاهها من حقائق تتجاهلها هي وترفض سماعها ، تهرب منها ومن كلماته الجارحة التي تصم أذنيها عندما يطلقها خارج لسانه عليها حتى لا تسمعها .. حتى لا تجرحها .. حتى لا ترى حقيقة الأمور من حولها، رغبته في إبعادها عن حياته .. عشقه لأروى الذي لن يكون لغيرها، قوقعته التي يرفض الخروج منها ليساير العالم .. عزلته التي عشقها وعالم أروى الذي يرفض مغادرته .. ينتظر خلف الأبواب المغلقة التي أبعدته عن حبه، ينتظر مفتاحًا لتلك

الأبواب، مفتاحًا لن يجده في حياته، ينتظر كطفل فاقد البصر فقد والدته التي كان يرى بعينها العالم من حوله، لم يعد هناك نور بعدها .. هائم في ظلام داخلي وأتربة غطت ذكريات سعيدة، بل وصاحبة أجمل ذكريات بحياته حتى عشش العنكبوت بداخله، وصنع خيوطه على كل ركن في حياته، حاصره في زاوية مغلقة بعقله وقلبه وكيانه كله، زاوية هي الوحيدة التي يجد بها الحياة أروى ى ى ى ى ليس غيرها.

- شايف يا بابا؟ طنط سارة عملتلي الضفيرة اللي أنا بحبها.

محمد دون أن ينظر لابنته:

- حلوة أوي يا رنا .. بس أنا مضطر آخد منك طنط سارة دلوقتي.

فتهم سارة بالخروج خلفه بعد أن شعرت بعدم اطمئنان من تلك النبرة الحادة التي يحملها بصوته، فهي اعتادت على قسوة كلامه معها في كل زيارة لمنزله وتلك النظرة التي تظهر بعينه التي تحمل كثيرا من التساؤلات حول السبب الرئيسي لزيارتها ممزوجة برفض تكرار الزيارة.

- عايز أكلمك في موضوع مهم.

- أوك .. بس ممكن نتكلم بره في أي كافيه؟

- أوك.

يجلس محمد مع سارة في نفس الكافيه الذي جمعهما في أول خروجة لهما معا.

- إنتي عايزة مني إيه؟

- مش فاهمة!

- بصي .. أنا معرفش عنك حاجة غير اسمك ومكان شغلك، غير كده معرفش .. والصراحة مش مهتم إني أعرف.

بابتسامة سخرية على شفتيها:

- ما أنا عارفة.

محمد بدهشة:

- طب مصممة تظهري في حياتي ليه وإنتي عارفة إني رافض وجودك؟!

_بس مش فاهمة سبب الرفض ده ليه!

- إنتي عارفه إني بحب أروى ومفيش حد في حياتي غيرها ومش هيكون في .. سيبيني بقى أرجع لحياتي اللي أنا اتعودت عليها .. حياتي معاها هي وبس.

- حياتك مع واحدة ميتة؟!

فيغضب محمد بعد سماع آخر كلمة تنطق بها:

- أروى ممكن متكونش في العالم بتاعي فعلا .. بس عمرها ما هتبقى ميتة جوايا.

- بس أنا مش بقولك تموتها جواك .. بس ممكن تدينا فرصة.

- فرصة لإيه؟

- محمد أنا بحبك.

- وأنا بحب أروى .. أروى وبس.

- وأنا حبيت فيك حبك لأروى وإخلاصك ليها .. أنا مش عايزه أروى تخرج من جواك، بس ممكن تديني فرصة أقرب منك فيها .. يمكن تحبني.

- أنا عارف إنك شخصية محترمة وساعدتيني كتير، وكفاية إنك كنتي بتسمعيني .. وكمان ساعدتي ولادي وخصوصا رنا .. بس بجد كفاية كده، أنا كده مش مرتاح لوجودك في حياتي، ومن فضلك اخرجي منها ومتظهريش فيها تاني.

تخترق الكلمات نبضات قلبها رغم أنها توقعت سماعها، ناضلت موتا محتوما بعد أن تجرعت كأس سم الحب المستحيل الذى سيقتلها بالبطيء، ستطول معاناتها قبل أن يسكن قلبها، لكن قلبها كان له السلطة حين أرغمها لتبتلع سم محمد في كل لحظة

تحدثت معه وانجذبت لعالمه أكثر .. غادرت خلف نداهة ولم ترغب في الوقوف للحظة لكي تسأل نفسها لِمَ أنا؟ وكيف سأفعل هذا بنفسي؟ هل سأتحمل طعنة الحقيقة في اللحظة التي سيعترف بها محمد بحقيقة مشاعره تجاهي أم لا؟ سيري خلفه .. خلف قلب أعمى .. الذي سيقودك لمتاهة لا تنتهي .. ألم لم تشعري به من قبل .. موت زاحف إليك .. ندبة لن تشفي منها ولن تختفي آثارها مع الوقت.

صدمة اعترافه وقرار نفيها من حياته كانت أكبر من توقعاتها، أمسكت سارة بحقيبتها بيد باردة هرب منها الدماء وأخرجت منها علبة حمراء اللون.

- طب ممكن تقبل مني الهدية دي؟ أنا كنت هقدمهالك في عيد ميلادك .. بس ممكن دلوقتي تعتبرها هدية وداع.

شعر محمد بخجل شديد من قسوته عليها رغم أنها ما زالت تظهر له كل معاني الحب في كل لحظة تجمعهما.

- لا أنا مش هقدر أقبلها.

سارة تنظر له بعيون دامعة:

- لا .. لازم تقبلها، وأنا بوعدك إني مش هظهر في حياتك تاني طول ما أنت عايز كده.

فتناول محمد العلبة من يدها بعد أن هدأت نفسه واطمئن لوعدها، ثم فتحها ليجدها ميدالية فضية تحمل اسم أروى، فينظر إليها باندهاش شديد، ذهول من تلك الفتاة التي تتحمل قسوته وكلماته الطاعنة، وحبه لأروى دون أن تشعر تجاهها بأي غيرة ورغم كل ذلك الألم الذي يسببه لها بتجاهلها وإصراره الشديد على إبعادها من حياته إلا إنها ما زالت ترغب في إسعاده والاستمرار في حبه دون توقف.

- شكرا يا سارة.

ثم يهم بالمغادرة تاركا سارة في ألمها وصدمتها، فلم يرد أن يصعب الأمر أكثر من ذلك .. فإنهاء تلك المقابلة الصعبة التي تحمل القسوة في أحشائها بسرعة أفضل من إطالتها، وحتى لا يعطي لها فرصة بأن تقنعه بأفكارها وتصدمه بواقعه وعزلته وحبها له، وحتى لا يعطي فرصة لضميره للتألم أو الشعور بالندم على ما أحدثه لها بوقع كلماته التي كانت كالرصاص عليها، أحدثت لها ثقبا يملأ قلبها.

يدخل محمد مبنى البنك دون أن يلقي على موظفي البنك التحية، فلم تكن من عاداته تجاهل زملائه بالعمل والذين ينظرون له متعجبين بينما هو يواصل خطواته للمكتب، فيدلف خلفه عادل.

يلقي محمد حقيبته على المكتب ويجلس هو على أحد الكرسيين أمام المكتب، فيجد عادل خلفه ليجلس هو الآخر في الكرسي المقابل لمحمد.

- مالك بقالك يومين متغير! سارة مش كده؟

علم عادل بشأن سارة وزياراتها المتكررة لمحمد، فقد كان محمد يشاركه بكل الأحداث ليستشيره في ذلك الأمر .. إلا أنه فقد الاتصال معه في الأيام الأخيرة، فقد قرر محمد البعد عن مشورته بعد أن أصدر فرمانه بالبعد عنها، فهو لم يرد من عادل أي استشارة في ذلك القرار حتى لا يعيقه أو يؤثر عليه.

- قولتلها مش عايزك في حياتي تاني.

- أنت عارف إنها بتحبك، بس أنت رافض أي فرصة بتقابلها في وشك.

- أنا معرفش أحب غير أروى .. ومش هعرف.

- مش عارف .. ولا مش قادر، أنت كده بتقسى على نفسك قبل ما تقسى عليها.

- هو أنا كده بقسى على نفسي! مستحيل ده أنا كده هرتاح وأرجع لحياتي مع أروى وبس.

عادل بسخرية:

- واضح أوي عليك الراحة .. يا ابني أروى ماتت بس أنت اللي مش عايز تفهم كده .. وأنت كده بتقتل نفسك بالحيا .. بتضحك على نفسك .. مستحيل هتقدر تخلط العالم بتاعك بالعالم بتاعها زي ما أنت متخيل .. هي خلاص بقت في عالم ربنا وحده أدرى بيه .. أروى ماتت والميت عمره ما بيرجع يا محمد.

طعنات متتالية كلمات عادل التي تحمل حقيقة ما يمر به محمد، ذلك الواقع الذي يعيشه لكنه لا يرغب في رؤيته .. يهرب منه .. وكلما وضحت له الصورة يغمض عينه حتى لا يراها .. يعيش في خياله فقط مع ما يرسمه من حياة تجمعه هو وأروى معا مرة أخرى.

- كفاية بقى يا عادل ...

بصوت عالٍ.

- لا مش كفاية .. كفاية أنت بقى اللي أنت عامله في نفسك، يا أخي ربنا بعتلك حد يخفف عنك ألمك ويشيل معاك مسؤلية ولادك .. حد بيحبك ونفسه يسعدك ويساعدك بأي طريقة .. وأنت بردو مصمم تموت نفسك!

فيثار محمد غاضبا من هجوم عادل عليه بعد أن ألقى على مسامعه حقائق رفض كثيرا أن يسمعها حتى لا يدرك واقع الأمور من حوله .. أو أن يحاول أحد إيقاظه من غفوته.

- وأنت تعرف إيه عن الحب؟ أنت أصلا عمرك ما حبيت!

فيطفو على وجه عادل ابتسامة تحمل في طياتها كثيرا من الأسى في حياة يعيشها مرغما ودون رغبته.

- أنا عارف إني أنت شايفني واحد خاين لمراته .. يعني كل يوم مقضيها مع واحدة، ودايما واخد الحياة هزار ومش فارق معايا إني بخونها بس أنت متعرفش أي حاجة عن ماضي عادل.

أنا من زمان كان نفسي ألاقي واحدة أحبها وتحبني من أيام ما كنت بلاقي زمايلي في الإعدادي عندهم صاحبات بنات .. معظمهم اتعرفوا على بنات وحبوا وفركشوا وحسوا بطعم الحب وألم الفراق إلا أنا، ولحد ما وصلت الجامعة ولسه بدور ومش لاقي اللي أحبها ويمكن بردو البنات مليقيوش فيا الحاجة اللي تجذبهم ليا وتخليهم يحبوني لأني كنت بدور بعيني لكن عمري ما اتكلمت مع بنت .. كنت مقتنع إني هلاقيها في يوم من

الأيام لحد ما خلصت جامعة .. وبعده الجيش ولقيت الوظيفة في البنك ده ..

ثم يعود عادل بظهره للخلف وهو يكمل:

- أهلي بقى حبوا يجوزوني وأنا ساعتها مفرقش معايا إني أدور تاني .. قلت أكيد هحب اللي هتجوزها .. ووافقت على المبدأ، وفجأة لقيت نفسي متجوز جوازة ..

فيقاطعه محمد:

- صالونات.

- بالظبط كده .. أوباااااا شهرين تلاتة واتجوزنا والبطيخة المقفولة اتفتحت، في الأول كنت فاكر إني هحبها وهبقى مبسوط معاها، وهي كمان هتبقى كده وتحبني بس اللي اكتشفته إن الجوازة نجحت بس علشان أنا من عيلة غنية وشغلي حلو ومرتبي أحلى، فين أنا من كل ده بححح .. شهور وأنا بحاول إني أقنع نفسي إني هي دي اللي هتبقى حبيبتي بس لقيت الواقع غير كده خالص.

واحدة معرفش عنها حاجة ولا هي عايزة تعرف عني أي حاجة غير فلوسي، واحدة شايفة جوزها على إنه محفظة .. أهم حاجة عندها الفلوس وتصرف على

الشوبينج ومظهرها قدام صاحباتها وتجيب كل اللي هي عايزاه .. بس عمرها ما فكرت تقول كلمة حلوة، تشكرني على أي حاجة عملتها لها .. تسألني مرة إيه اللي مزعلك .. عملت إيه في شغلك .. تحسسني بأي اهتمام .. كل همها الفلوس وبس، أتأخر بره أو حتى أبات مش فارقة، المهم إني أسيبلها فلوس ومش مهم حتى تعرف أنا فين.

- طب متكلمتش معاها ليه.

- يووووووه .. كتير أوي بس ولا حياة لمن تنادي .. بردو مفيش فايدة، وحتى لما فكرت في الانفصال عنها بردو فشلت .. أهلي رفضوا وقالوا علشان ولادك ولازم تبقوا مع بعض وتستحملوا بعض ونضحى علشانهم .. أنا عارف إن اللي بعمله مش صح، وإنه هروب من الواقع .. بس مش لاقي حل تاني أعمله .. آه أنا بخونها وبعرف عليها بنات كتير، بس لسه بدور على الحب اللي مش لاقيه.

❁❁

الحلم

لماذا أصبحنا بتلك القسوة؟ ولماذا تركنا زمام الأمور لذلك القاضي القاسي الظالم الذي يكمن بداخلنا ويسكننا كعفريت متربص؟ قاضي لا يرى سوى الجانب المظلم من كل شيء .. نصف الكوب الفارغ دائما .. يحكم على أخطاء الآخرين ويصدر عليهم أبشع الأحكام دون أن يبحث وراء تلك الأخطاء، دون أن يجمع الأدلة والبراهين والإثباتات .. دون أن يهتم بتلك الأسباب التي دفعت الآخرين لارتكاب تلك الجرائم .. ذلك القاضي المتخاذل الضعيف أمام أخطاء صاحبه الذي يخضع له، يضعف أمام أخطاء صاحبه، لا يستطيع أن يقسو في أحكامه عليه، لا يقوى على شيء سوى أن يلتمس له العذر على أخطائه، أن يجد له أي مبرر لكي يقنعه بأنه على حق، وأن من حوله هم المخطئون، هم من دفعوه لهذا الفعل، وهو المظلوم وليس الظالم.

ذلك القاضي الظالم الذي أصبح كالنظارة السوداء فوق أعيننا، كأنها سحابة فوق مدخنة تشبعت قطراتها بدخان أسود، تجعلنا

نرى كل ما حولنا بغشاوة سوداء تعيق رؤيتنا لحقيقة الأمور، تعيق إدراكنا لمعرفة أسباب تلك الذنوب والجرائم.

لماذا تخون؟ لماذا تقتل؟ لماذا تحب؟ ولماذا تكره؟ لماذا تترك؟ ولماذا ترفض؟ ولماذا تعيش؟ وما الذي يدفعك للموت؟

هجوم على كل من يعارض أفكارك، كل من يستطيع فعل ما تعجز عنه أنت، تلوم من حولك على وصولهم لغايات عجزت أنت على نيلها، تنظر لهم على أنهم مخطئون .. مجرمون .. ومذنبون، وبداخلك تتمنى لو فعلت مثلهم .. لو ساعدك القدر بأن تنول ما نالوه لكنك تماطل .. ترفض أن تواجه حقيقة عجزك وصمتك، فالهجوم أفضل من الاستسلام والاعتراف بالخطأ والعجز.

نترك جميع أحكامنا لذلك القاضى الذي يغفل أخطاء صاحبه ويتناساها ويسعى وراء أخطاء الآخرين لكي يمارس مهنته عليهم، لكي يفرض عليه أحكامه ويلف حبال المشنقة حول أعناقهم، يعدم من يستحق من وجهة نظره ويعطي المؤبد للآخر، أما البراءة لا ينالها سوى الطبالون للقاضي وأنصار ظلمه.

يعيش محمد أيامه بين ألم وندم .. ذلك الألم الذي بداخله على فراقه لنصفه الثاني، وألم آخر ينصب على ألمه جراء ما فعله

في حق تلك الفتاة بعد أن هدم ذلك الكوبري الذي يصلهما ببعض وصدها عن حياته بأسوار عالية لا تتخطاها، وألمه على صديقه الذي يعاني في البحث عن ذلك الحب المفقود الذي لم يأتِ لحياته أبدا.

ألم ممزوج بندم على تلك القسوة التي تحلَّى بها، وأخرجها مع هجماته لصديقه، هجومه عليه واتهامه بالخيانة .. ظلمه له وأنه لا يعرف شيئا عن الحب .. يتساءَل ويندهش من نفسه، لماذا أصبحت بتلك القسوة على نفسي وعلى الآخرين؟ يحتد على كل من حاول إيقاظه .. كل من حاول سحبه من تلك الفقاعة التي يسكنها ويخنق نفسه داخلها .. يتركها تضغط على أنفاسه وتسلبه روحه .. خياله الذي رسمه له ولأروى ليواجه به حقيقة واقعه كأنه سلاحه لينقضَّ به على حياته.

ابتعد محمد عن عمله وعن صديقه عادل ليسكن منزله، يعيش مع ألمه الذي يزداد يوما بعد يوم ولا يستطيع إيقافه كقطار فقد فراملة.

يجلس محمد على سريره بغرفة نومه وقد ظهر على وجهه علامات الإرهاق والتعب من نوم مفقود وتفكير زائد، لا يخلو من اللوم والعتاب لنفسه وللزمن الذي وضعه في تلك المتاهة.

تناثرت شعيرات ذقنه بطول يقارب شعيرات رأسه ، وبين أصبعيه سيجارة يستنشق دخانها وتخترق سمومها جسده لعلها تشفيه من علته وتقوده إلى حافة النهاية ليهوى بعالم آخر باحثا به عن حبيبته المفقودة بداخله، تدور بذهنه كل تلك الأحداث التي مر بها في الفترة السابقة .. كلماته الأخيرة لسارة وطلبه منها أن تغادر حياته وأن تتركه في سلام مع أروى، عادل صديق عمله وما دار بينهما من حوار يحمل معاناة عادل في حياته وقسوة محمد واتهاماته البشعة تجاهه.

ثم يتذكر تلك الفتاة التي حولت كل ما بداخله من حب إلى قسوة، قسوة على نفسه وعلى الآخرين .. ذلك العشق الذي ملأ فؤاده .. الحب الذي سعى خلفه وجاهد لكي يحافظ عليه.

وها قد ظهر نوع آخر من الجهاد في حياته، ذلك الجهاد الذي اختلقه لكي يحافظ على صورة أروى في حياته .. جعلها منطقة محرمة الدخول لا أحد يستطيع أن يطأ قدمه بها .. فأصبح يجاهد كل من حاول أن يصدمه بحقيقة مغادرتها من حياته .. يجاهد نفسه لكي يحافظ على حبه لها حتى يبني سدا يمنعه من الغرق في حب آخر.

تزداد تيارات الألم بحياته، والتي تداعب ذلك البحر الراكد من الحزن على فراق حبيبته .. وها قد أتت اللحظة التي قرر بها أن

يواجه حزنه ويواجه زوجته .. يخرج كل ما كتمه بصدره منذ أن سمع خبر وفاتها من طبيبها حتى تلك اللحظة التي ما زال قلبه الميت ينبض بها.

يشيح محمد بنظره في جهة الكومود الراقد بجواره ثم يفتح درجه الأوسط ويخرج منه مجموعة من الأوراق الفارغة التي يستخدمها دائما في عمله .. ليبدأ في مرحلة المواجهة المحتمة لواقعه المشئوم.

يخرج كل ما بداخله من حزن .. يبوح به لتلك الأوراق المستسلمة بيده تسمعه وتسمع أنين كلماته .. يبوح لها بكلمات تحمل ما يعانيه من أوجاع منذ عامين، تلك الكلمات التي تسكنه بصمت قاتل رافضة الخروج .. ذلك البركان الخامد الذي يدخن بداخله الحمم البركانية من حين لآخر رافضا الانفجار وها قد أتت لحظة انفجاره.

يجلس محمد على السرير ويسند الأوراق على قدمه وبين أصابعه اليمنى قلم أزرق .. عيونه مليئة بالدموع يكاد جفنه ينزف دما من كثرة الاحمرار .. ليبدأ أخيرا في سرد ما بداخله لمعشوقته أروى.

- "أروى يا حب حياتي .. يا أغلى حاجة عندي .. يا وجع سببتيه بفراقك عمره ما هيخف .. يا جرح بينزف كل يوم وعمره ما هيتلم .. وحشتيني أوي يا أروى ...".

وتنهمر الدموع من عينيه وتتساقط على الأوراق، فتبللها بينما يديه ترتجف وبين أصابعها القلم وهو يحاول التحكم بها لكي تساعده في البوح بمكنونات صدره المنغلق.

- "هونت عليكي تسيبيني؟ .. هانت عليكي أيامنا وأحلامنا سوا؟ طب وأحمد ورنا هانوا عليكي؟ طب إزاي؟! ده أنا عشت عمري عشانك .. حاربت أي حد يفكر يقف في طريقنا سوا .. سيبتيني ليه؟ سيبتيني في دايرة العذاب لوحدي .. وسيبتي الحمل كله عليا، حمل ولادنا فوق ضهري لوحدي .. وأنا تعبت .. والله تعبت".

فيتعالى صوت نحيبه وتزداد دموعه غزارة وكأنها بحر هائج .. فيرفع يديه ليمسح وراء موجة دموعه الطائشة والتي لا تتوقف.

- "تعبت من الانتظار، مستني اللحظة اللي هتجمعنا مع بعض من تاني .. مش عارف أشوف في حياتي غير اللحظة دي .. نفسي أشوفك واقفة جنبي من تاني .. ماسكة في إيدي وشايله معايا همومي من تاني .. مش

فاكر في حياتي غيرك، ما إنتي كنتي كل حياتي .. مش فاكر غير كل لحظة حلوة جمعتنا سوا .. وحشتيني بكل حاجة فيكي .. نظرتك اللي مليانة حنية اللي بتقويني وسط ضعفي .. ضحكتك اللي بتضحك العالم حواليكي وبترقص قلبي معاها .. كنتي الوردة اللي بتعطر بستاني وحياتي.

إنتي وعدتيني يا أروى وأهو خلفتي وعدك ليا .. إنتي مش قولتي هفضل معاك ومش هسيبك؟ إوعي تقولي إن ده كلام وبس؟ لا .. لا أكيد لا .. مش عايز أصدق إنه كلام وبس .. بس كلهم بيقولولي كده إنه هو فعلا كلام وبس.

وإنتي السبب .. أيوه إنتي، إنتي اللي خليتيني في العذاب ده والألم اللي مبيخلصش لما اختارتي إنك تستسلمي للموت وتفارقي حياتي وتسيبيني، دخلتيني في دايرة عمري ما كنت متخيل في حياتي إني أدخلها .. دايرة الخيانة الشرعية".

فهو لم يرَ في حياته بديلا لمحبوبته أو شخصا آخر يستطيع أن يحل محلها .. فنظرته لغيرها خيانة .. أما الحب والارتباط فتلك هي الخيانة المشروعة .. ذنب يحاول ألا يقترفه في حقها، فهو

يرفض التقرب من سارة تجنبا لذلك الذنب، لكنه الآن يلقي اللوم على أروى فهي التي وضعته في ذلك المأزق، قذفته بتلك الدائرة التي لم تأتِ يوما في مخيلته قط .. كيف تأتي وهو يرسم أيامه كلها بفرشاة أروى .. بطلة أيامه وأحلامه، عشق يسري بدمه، إدمان لا يتعافى منه أبدا .. مثلها كمثل ذرات الأكسجين التي تملأ شهيقه، لا يقوى يوما على الاستغناء عنها، ولكن ها قد شاءت له الظروف والأقدار بأن يدخل تلك الدائرة ليرى حقيقة واقعه وما تدفعه له الأيام.

- "إزاي أقدر أحب تاني بعدك؟! مش قادر أشوف غيرك، بس إنتي اللي اتخليتي عني، إنتي اللي سبتيني لوحدي .. سيبتيني وخدتي معاكي روحي وسعادتي .. بعد ما رسمنا حياتنا سوا .. رسمنا كل حاجة فيها واتخيلنا كل لحظة هنعيشها سوا .. سيبتيني أعيشها لوحدي.

هعيش إزاي من غيرك يا أروى؟ ! هعيش إزاي مع الحمل التقيل اللي سبتيه على كتفي؟ ! مفكرتيش في محمد ليه قبل ما تقرري تمشي؟ محمد حب عمرك .. حبك الوحيد .. طب ولادك هانوا إزاي عليكي تفارقيهم بالسرعة دي .. مش إنتي اللي قولتيلى عايزه أشوف

أحمد بالبدلة السودا في فرحه .. ورنا تلبسيها طرحتها البيضا في فرحها .. نسيتي كل ده؟!

على من يصب لومه وعتابه؟ ثائر كمجنون صارحوه بجنونه .. لا يدري هل هم الصادقون أم هو؟ هل يعاتب أروى على غدرها له بتركه يحمل كل الأعباء وحده .. يكمل حياته بلا رفيقة، بلا حب .. بلا يد حانية تسنده في أيامه الصعبة .. تركته في وسط طريق لا يمكن العودة منه .. لا يملك خيارا سوى أن يستمر فيه ولا ينظر للخلف أبدا .. لوحته التي رسماها معا أصبحت كبيت مهجور .. بألوان كلها سوداء .. تركته وسحبت معها نور حياته، فهل هي من تستحق عتابه؟ أم من؟ ربما ينال ملك الموت جزءا منه ولكن كيف يلومه وهو ينفذ إرادة الله عز وجل .. أمر محتم لا قوة بالأرض تمنع تنفيذه .. ربما يجب عليه أن يلوم من أودى بحياتها .. من كان له السبب الأعظم ليقنعها بالتخلي عن حياتها، البغيض البشع الذي سلبها سعادتها مع محمد، من اخترق جسدها ليسرطنه .. لينتشر ويتوغل ساحبا معه الحزن والبؤس والألم الذي لا ينتهي .. تلك اللوكيميا التي حاربتها بشتى الطرق ولكن كانت في النهاية الغلبة لها .. فهنيئا لكِ أيتها اللوكيميا يا من أنهيتِ حياة أشخاص تعذبوا بكِ وأشخاص آخرين تعذبوا من آثارك البغيضة بحياتهم ... فكلاهما حياته انتهت بوجودك.

ذلك الحزن الدفين الذي يملأ قلبه، والذي غطى على عقله وإيمانه .. أفقده واقعية حياته، وأقنعه بأن ما زال هناك أمل .. سجنه في تلك الحياة التي لا يرى بها سوى أروى، وأفقده إيمانه بأن ذلك هو قضاء الله.

فيهدأ صوت بكائه تدريجيا وتتباطأ قطرات الدموع لتقل مع صوت بكائه ثم يستكمل كتابته.

- "كان نفسي نعيش مع بعض طول عمرنا .. نعيش كل لحظة سوا .. أنا عارف إن رحيلك مش بإيدك .. بس وجعي عليكي صعب أوي .. كل يوم بيعدي عليا من غيرك بموت فيه مليون مرة .. نفسي أشوفك ولو ثانية ترد فيا الروح من تاني وأحس إني قادر أتنفس من تاني.

آآآآآآه على الخنجر اللي زرعتيه بفراقك بين ضلوعي واللي هفضل عايش بيه لحد ما أشوفك تاني .. صعب أوي يا أروى .. صعب إني ألاقي حد ممكن ياخد مكانك ومش قادر أفكر ولا أتخيل حاجة زي دي .. أروى أنا تعبان ... تعبان أوي من غيرك وخلاص مبقيتش قادر أكمل كده".

يضع محمد تلك الورقة المبللة بدموعه بجواره وبجانبها يضع القلم ويريح ظهره للخلف متكئا على الوسادة بعد أن أخرج ما بداخله من لوم وعتاب على ما فعلته أروى به .. ذلك الكلام المسجون بداخله لعامين .. والآن أصبحت تلك الكلمات حرة طليقة .. يغلق محمد جفونه ذات الحمرة الكاتمة ليغوص في نوم عميق.

رمال ناعمة تتحطم عليها تلك الأمواج الهادئة حاملة معها نسمات الهواء الباردة .. تعلوها سماء بلونها الأزرق الفاتح وسحابها الأبيض، تتوسط سحابها أشعة الشمس بلونها الذهبي.

يقف محمد على الشاطئ وهو يحاول أن يفتح عينيه التي يعاكسها شعاع الشمس، ورويدا رويدا تتضح له الرؤية ثم تظهر له صورة المكان كاملة، فيستعيد في ذاكرته ذكريات هذا المكان الذي جمعه مع أروى ليكون شاهدا على حبهما، فينظر حوله متسائلا لماذا أنا هنا؟ ليجد أروى تقف على بعد عدة أمتار منه وهي تنظر له مبتسمة .. تلك الابتسامة التي لم تغادر خياله أبدا، دائما يتذكرها، يتذكر كل جزء من وجهها المبتسم .. تلك الابتسامة التي أسرت حياته بأكملها ، وشعرها المتطاير في الهواء وكأنها لم تفقد منه واحدة قط في حياتها .. لم تلتقِ بذلك الوحش الذي سلبه منها في أيامها الأخيرة من شر تلك الجرعات

التي تنغمس لتخترق جسدها لتقاوم ذلك الوحش .. ذلك السيف الذي حاربت به في معركتها الأخيرة ولكن تظل الغلبة للأقوى.

وهي ترتدي نفس الفستان الأبيض الذي ظهرت به في نفس المكان وكأنها ملاك أبيض اللون يقف على الأرض.

يجري محمد في اتجاهها بلهفة وشوق وكأنه شعر بروحه المفقودة قد عادت لجسده اليائس من الحياة مرة أخرى، بينما تقف أروى بابتسامتها المشرقة وهي تنظر له بسعادة.

- وحشتيني يا أروى، كنت عارف إني مش ههون عليكي تسيبيني وهترجعيلي تاني.

- أنت عارف إني عمري ما أقدر أسيبك .. وكنت معاك طول الوقت.

محمد وهو يمسك بيدها في شوق شديد:

- وحشتيني ووحشتني كل حاجة فيكي.

- رسالتك وصلتني بكل كلمة فيها .. بس أنت عارف إن فراقي مكانش بإرادتي.

محمد وهو يجذبها من يديها ليقربها منه أكثر:

- بس إنتي رجعتيلي أهو مش كده؟ مش هتسيبيني تاني خلاص .. أنا عارف إنك هتفضلي معايا.

وبداخله منتظر ذلك الرد الذي لو كاد أن يدفع حياته ثمنا له لما تردد لحظة .. ذلك الرد الذي يؤكد كلامه بأنها ستظل معه وتعود لحياته مرة أخرى.

أروى وهي تتأمله بنظرة يملأها العطف والحنان:

- ضحكتك وحشتني.

- كل حاجة هترجع بوجودك في حياتي.

- أنت عارف إني مش هقدر أرجع تاني، عالمنا اختلف دلوقتي يا محمد.

- لا يا أروى هنفضل مع بعض ومش هنسيب بعض تاني .. أنا ما صدقت لقيتك.

- بتحبك.

محمد بدهشة:

- هي مين؟!!

- سارة يا محمد بتحبك.

- بس أنا بحبك إنتي .. إنتي وبس يا أروى.

- أنا نفسي أشوفك مبسوط من تاني .. وتبقى سعيد في حياتك علشانك وعلشان ولادنا.

- بس أنا عمري ما كنت سعيد غير معاكي.

- بس أنا خلاص يا محمد خرجت من حياتك .. وأنت لازم تكمل علشان ولادنا ، لازم تساعد نفسك وترجع اللي ضاع منك علشانهم هما كمان.

- أنا عارف إنتي زعلتي مني مش كده؟ زعلتي إنها دخلت في حياتي الفترة اللي فاتت .. بس والله غصب عني وأنا مشيتها خلاص ، خلاص بعدت عني ومش هتلاقيها في حياتنا تاني .. أنا آسف .. بس بلاش يا أروى تسيبيني تاني .. أنا مش هقدر أكمل من غيرك.

أروى وهي تقترب منه خطوة:

- لا .. هتقدر وهتقبل مساعدتها ليك .. وهترضى بحبها ليك ولولادنا .. علشاني يا محمد وعلشان أبقى مطمنة عليك .. أنت لازم تكمل.

- بس أنا بحبك إنتي .. ومش هعرف أحب غيرك.

- اوعدني إنك هتحاول تتغير وتحبها زي محبتني.

- لا يا أروى مستحيل.

- لو بتحبني اوعدني إنك هتحاول .. اوعدني يا محمد.

فيجيبها محمد بحزن وفقدان أمل:

- أوعدك.

فيغمض عينيه وتسقط دمعة من جفنيه ثم يفتحها، فيجد أروى قد غادرت المكان ولم يعد لها أي أثر .. فيهيم على وجهه باحثا عنها وهو ينادي بصوت عالٍ لا يسمع سوى صداه .. ثم يشعر فجأة بملمس ناعم بين يده .. تلك الأصابع الصغيرة التي تمر براحة يده لتسكن بين أصابعه، فيشعر محمد باطمئنان بأن أروى قد عادت إليه ولم تتحمل فراقه للمرة الثانية .. فينظر بجانبه ليرى وجه حبيبته وهو مبتسما .. وفجأة تتغير ملامح وجهه بملامح الدهشة، ليجد تلك الفتاة التي حاول إبعادها عن حياته بقدر إمكانه وهي تقف بجواره مبتسمة ويدها تحتضن يده .. فينظر لها متسائلا:

- إنتي بتعملي إيه هنا؟ وإيه اللي جابك؟ عايزة مني إيه؟

ثم يتذكر رحيل أروى التي أصبحت تائهة، وربما مفقودة، فيعود بنظره حوله باحثا عنها دون أن يعطي أي اهتمام لتلك التي تمسك بيده الآن.

❁❁

الشروع في الحب

- أروى .. أروى ى ى ى ى.

ما زال صدى صوته يدوي في أذنه بعد أن فتح عينيه ولكن ما زالت صورة أروى تتشبث بعقله ليدرك حقيقة اختفاء أروى من حياته وكذلك أحلامه، تركته بعد أن علمت بوجود أخرى .. فيشعر بدماء تغلي بعروقه كقدر مُلئ بالماء موضوع على جمر من النار، حينها تذكر تلك الفتاة التي سلبت بظهورها في حياته صورة محبوبته من واقعه وأحلامه .. يرغب في الأخذ بالثأر والانتقام منها، تلك التي أشعلت بداخله نيران الأحزان منذ أن اقتحمت أبوابه الموصودة، ودبت خطواتها في ظلامه الثائر، كل ما يدور بذاكرته هو أن يواجهها بما فعلته به وبحياته، فهي من أبعدته عن أروى، فلولا ظهورها ما اضطرت أروى للمغادرة مرة أخرى ولظلت معه منتظرة اليوم الموعود للقائهما.

ينهض محمد من فراشه ويرتدي ملابسه حتى يذهب للقائها دون أن ينظر في المرآة ليواجه مظهره المزري.

الساعة السابعة صباحا يدق جرس المنبه الخارج من هاتف آلاء الملقى بجوار رأسها، فتنهض آلاء بشكل متباطئ من فراشها تحاول جمع أجزاء جسدها للتحرك تاركة الفراش، لتستعد ليومها الدراسي في جامعتها بعد أن التحقت بكلية الآداب قسم تاريخ بسبب شغفها بتاريخ بلدها، فالعيش في ماضٍ بحضارته وثقافته أفضل من حاضرٍ يفتقد كل معاني الثقافة والإبداع، فانحسرت حياتها مع أحمس والإسكندر بصحبة حتشبسوت وشاشنق وربما أحيانا رمسيس الثاني وتحتمس الثالث، ولم تنسى صحبة فيليب المقدوني وطهرقا وكثير منهم الذين يحملون إنجازات وأمجاد سجلت أسماءَهم بحروف ذهبية في عالم التاريخ، ليصبحوا من العظماء ولم تنسى حضارتها الحديثة التي انتهت بانتهاء الثقافة، وبدأ بعدها عصر التقليد والتقيد والخضوع لمطالب الغير، هم من يرغبون بتسيير العالم من حولهم كما يرون.

تنهض بشعر متناثر على وجهها وعضلات وجه منبسطة وعينين تحاولان طرد بقايا النوم وخطوات تعرف وجهتها المعتادة، تضع على كتفها فوطة وتتجه للحمام فتجد في طريقها سارة تجلس على الكرسي الموضوع وسط الصالة وبيدها كوب القهوة ووجهها شاحب، وقد هجرها النوم منذ تلك المقابلة التي

انحرمت فيها من حبها .. كل ما يدور بخاطرها صورته وكلمة لماذا؟

فلماذا يقسو على نفسه؟ ولماذا لم يعطها الفرصة لتثبت له حبها؟ ولماذا كل هذا الإخلاص لفتاة فارقت الحياة؟ ولماذا يضيع عمره هباءً في تلك التعاسة؟ ولماذا يصر على كل هذا؟

فتراقبها آلاء بشفقة على حالها، وما أصابها من لعنة الحب:

- إنتي لسه منمتيش؟

تضع سارة الكوب من يدها على منضدة صغيرة بجوارها وتعتدل في جلستها ثم تلتفت لها بنظرة شاردة:

- آه .. لسه .. أنا هقوم أروح أوضتي أنام شوية.

- بردو مش هتروحي شغلك النهارده؟!

- خايفة يا آلاء ألاقيه في وشي .. خايفة مقدرش أمنع نفسي من الكلام معاه .. وهو طلب مني إني مظهرش في حياته تاني.

- طب هتفضلي كده كتير؟

- بفكر أستقيل وأروح أشتغل في أي شركة تانية .. بس بردو مش قادرة أبعد عنه .. مش هاين عليا أمشي، أنا محتارة أوي ومش عارفة أعمل إيه.

آلاء بدهشة:

- أنا مش عارفة إيه اللي شدك في واحد معقد كده؟

في تلك اللحظة يجلس محمد في سيارته تحت عمارة سارة فيضع يده في جيبه ويخرج محفظته السوداء ليخرج منها ورقة بيضاء قد سجلت بها سارة هاتف منزلها وعنوانها في الليلة التي حدثت بها حادثة رنا وأعطته إياها في حالة احتياجه لأي مساعدة .. فيقرأ محمد العنوان ويقارنه بذلك الذي سجله بذاكرته منذ أن نظر أول مرة في تلك الورقة وقد حفره في ذاكرته .. فقد تعود على حفظ الأرقام بهذه الطريقة من أول نظرة، تلك الأرقام التي تملأ حياته ووظيفته، هذه الصفة التي اكتسبها من كثرة الأرقام التي تعايش معها والتي أصبحت الآن تساعده في إنجاز أعماله بسرعة.

يترجل محمد من سيارته بعد أن تأكد من تطابق العنوانين الذين بذاكرته والذي قاده إلى هنا والذي بالورقة التي بيده .. والآن تأكد من صحة عنوانها.

وجهه يكسوه الانتقام من تلك التي هدمت أحلامه مع أروى، وملئ صدره روح الثأر منها، وأصبح كل ما يسيطر عليه وعلى تفكيره أن ينتقم من سارة حتى أنه أغفل كيفية الانتقام منها، فهل مواجهتها هي التي سوف تريحه وتجعله بذلك يأخذ ثأره منها ..

لا يدري؟ فكل ما يدور بعقله هو فكرة الانتقام فقط، ربما يشفي غله منها.

عصافير تدوي بصوتها في شقة سارة دون انقطاع، ذلك كان صوت جرس الباب وكأنه سرب من الطيور في طريقها للهجرة، فانزعجت آلاء من صوت الجرس العالي الذي لا يهدأ فنظرت لسارة معقبة:

- إنتي مستنية حد؟

- لا .. روحي شوفي مين.

فتذهب آلاء لتفتح الباب فتجد في وجهها ذلك الهائم على وجهه وعيونه مليئة بالشر، لا تدري من يكون ونظرته أعجزتها عن الكلام وأن تسأله عن هويته، فيقتحم محمد الشقة دون أن يبالي بتلك الفتاة وهو يبحث في أرجاء المنزل عن سارة ثم يرفع صوته باسمها لتتلقى مصيرها المعتم معه .. صاحبه الفضل في فقدانه لأروى .. ساااااااارة .. ساااااارة.

فيجدها تقف في ذهول لم تتوقع في لحظة تلك الزيارة التي لا تدري لها سببا:

- محمد!

- أيوه محمد اللي إنتي خربتيله بيته، ودمرتي حياته كلها.

سارة وهي تقترب منه بحذر، فهي لا تدري ماذا أصابه، تنظر له برعب كأنه ثور هائج، أسد غير مروض.

- اهدا يا محمد .. مالك فيك إيه؟ .. تعالا اقعد بس واهدا.

- إنتي السبب إنها تسيبني .. كانت معايا طول الوقت مستنية اللحظة اللي هتجمعنا تاني .. وإنتي جيتي خربتي كل حاجة.

- أنت بتتكلم عن إيه؟ أنا مش فاهمة منك حاجة!

- أروى سابتني بسببك إنتي .. من ساعة ما دخلتي حياتي شقلبتيها كلها ودلوقتي دمرتيها خالص.

- يا محمد أروى ماتت.

- لا أروى كانت عايشة جوايا لحد ما إنتي ظهرتي .. إنتي اللي قتلتيها ومسحتي أي أثر ليها .. كله بسببك إنتي.

فتقطع آلاء حديثهما الساخن بكلمات سخرية مرتفعة وهي تنظر لأختها نظرة لوم:

- هو ده اللي إنتي عاملة في نفسك كل ده علشانه؟ ده مجنون!

فيرمقها محمد بكره دون أن يعقب على كلماتها الحادة ثم يشيح بنظرة لسارة التي اغتصبت حياته دون إرادته.

- إنتي دمرتيني يا سارة .. وخلتيها تبعد عني وأهي راحت ومش عايزه ترجع تاني .. كله منك إنتي.

ثم يلتف بظهره ليغادر ساحبا معه جسدا أرهقه التفكير والحزن واللوم، نظرة انكسار كطفل فقد أمه، فقد كل معاني الرحمة والحنان في حياته، لا يدري ما القادم له وكيف سيواجهه بسلاح منكسر، كسره ثقل الحمل، وقد ترك خلفه علامة استفهام تعلو جبين سارة.

تقف سارة في ذهول وعينها تسبح في الدموع لا تدري ماذا حدث؟ ما الذي جعل محمد يكن لها في صدره كل هذا الكره؟

يفتح محمد باب شقته ويخطو بخطوات بطيئة وجسد متهالك، أتعبه ذلك الحمل الثقيل فوق كتفه، حزنه الذي يزداد بداخله، جسد قد قتل فيه كل معاني الحياة بعد أن قضى الحزن على كل خلية نابضة بداخله، وكأنه يحقق رغبته في الخلاص من هذه الحياة، ليعبر بروحه لعالم أروى حيث السعادة الخالدة، وكأن قتل جسده هو إذن عبور عالم أروى، وها هو الحزن ينفذ حكمه بالإعدام عليه وعلى جسده لينال شرف دخول عالمها.

يتفاجأ محمد بوالدته التي تقف أمامه بعد أن سمعت خطواته فهرعت إليه.

- ماما! إنتي جيتي امتى؟

- من ساعة، ولادك كلموني وقالوا إنك خرجت بدري من غير ما تقول رايح فين .. وإنك بقالك يومين مش بتروح الشغل وحتى الولاد ما راحوش النهارده المدرسة.

فيسحب محمد أحد كراسي السفرة ويجلس عليه، فتذهب خلفه رجاء وتجلس على الكرسي المجاور له، وهي تنظر له بقلق على ما أصابه واللعنة التي حلت به.

- مالك يا ابني فيك إيه؟ حالك مش عاجبني .. كل مرة أشوفك فيها ألاقيك أسوأ من الأول.

- أروى ماتت يا ماما ومش راجعة تاني.

- يا ابني أنت مؤمن وده قضاء ربنا .. أنت ليه معذب نفسك كده! دي حاجة مش بإيدينا.

- بس أنا مش قادر أكمل من غيرها.

- أنت لازم ترضى بقضاء ربنا وحكمه، وأنت لسه صغير وقدامك الحياة، بلاش تموت نفسك بالحيا، أروى

كانت بتحبك وعايزة سعادتك، واللي أنت عامله في نفسك ده أكيد هيضايقها لو شافتك في الحالة دي.

- ما هي علشان سعادتي دي سابتني .. فاكرة إني سعادتي إني أحب تاني وأتجوز تاني .. بس أنا مش قادر.

- يا ابني أنا عايزة أطمن عليك .. العمر بيجري بيا وأنا كبرت خلاص، واللي جاي مش قد اللي راح، نفسي أموت وأنا مطمنة عليك، اللي في سنك لسه بيبدأوا حياتهم يا محمد وأنت عايز تنهيها ! ليه يا ابني حرام عليك .. بص لولادك دول لسه صغيرين ومحتاجينلك.

فينهض محمد وهو يربت على كتفها ويقبل رأسها ثم يهم بالخروج.

- رايح فين؟

- خليكي إنتي مع الولاد وأنا راجع تاني .. متقلقيش.

تهم سميرة بخطوات سريعة بالنسبة لمرأة في سنها تجاوزت الخمسين عاما ، تتجه بخطواتها نحو الباب بعد أن سمعت أجراسه لتفتحه .. تلك المرأة التي مرت بصدمات فقدان أعز ما تملك في الحياة زوجها وابنتها الوحيدة .. تجلس في منزلها منفردة تنتظر زيارة محمد وأولاده كل يوم سبت من كل أسبوع

ليهونوا عليها حزنها الذي أغلقت عليه قلبها، فهي لا تملك في الحياة سوى إيمانها بالله وقضائه .. فلكل أجلٍ كتاب ولا راد لقضائه.

تفتح سميرة الباب فتجد محمد يقف أمامها ولكن تلك المرة بدون أولاده ويوم الأربعاء يلبس قناعا على وجه لم تره من قبل، فقد اعتادت على رؤية قناعين في حياته، أحدهما يحمل المعنى الأسمى للسعادة في حياته مع أروى .. ذلك القناع الذي تمنى أن يصبح قناعه الأبدي ولا يتغير، وقناع آخر يحمل معنى اليأس من الحياة .. حياة بلا روح، ابتسامة مزيفة يرسمها بين شفتيه لتخفي الظلام الذي يسكنه منذ أن غادرت من كانت تضيء حياته.

ولكن قناع اليوم مختلف لم تره من قبل، قناع لوجه تائه في الحياة، فقد كل مقاييس الصواب والخطأ، الحزن والفرح، حائر بين ما تفرضه عليه الحياة وما يرغب هو في حياته، يدور في تلك المتاهة بلا نهاية ليجد نفسه في ذلك المنزل الذي يحمل طفولة أروى وشبابها ولكن لم يشأ القدر أن يرى شعرها الأبيض فتوقف زمنه في وسط شبابها، مكان آخر يشم فيه رائحة أروى .. تلك التي تريح صدره من الهموم .. تبعث بداخله الاطمئنان .. تشعره بدفء لمسة يدها الحانية لتخبره أنها بجانبه.

تنظر له سميرة بوجه مِلئُه القلق المداعب لتجاعيدها الظاهرة على إطار عينيها.

- محمد! اتفضل يا ابني ادخل.

ثم تبحث خلفه عن أولاده ولكن خاب أملها في إيجادهم .. فتستطرد:

- أومال فين الولاد النهارده؟

يتحرك محمد في صمت للداخل دون أن يجيب على سؤالها ليجلس على تلك الأريكة التي شهدت معه ذكريات السعادة التي مر بها مع أروى منذ أن قدم لها دبلتها الفضة المفضلة لها مصحوبة بالأخرى الذهب المعتادة في تلك المناسبات للعروس.

ينظر محمد لسميرة بعيون شاردة وبصوت هادئ:

- ممكن أدخل أوضة أروى.

سميرة وبداخلها قلق لا تدري أسبابه ولكن تخضع له:

- اتفضل يا ابني.

يهم محمد بعضلات متراخية عاجزة عن تحمل الكثير ترغب في الراحة .. أن تأخذ هدنة في تلك المعركة لتستجمع قواها مرة أخرى.

يدخل محمد غرفة أروى فيشعر بسحابة من الراحة تجتاح صدره الكاتم، كطفل عاد لحضن أمه فوجد نبع الأمان بعد أن

فقده، فقد الأمل في أن يشعر به مرة أخرى بعد فقدها، وها هو عاد ليكون معها مرة أخرى، ما زالت صورة أروى تملأ عقله وكيانه وهذا هو المكان الآخر، حيث الأمل في عودتها لحياته وأن تقبل اعتذاره على السماح بدخول سارة لعالمه، معتبرا سارة خطأ اقترفه بحق أروى.

تلك الغرفة التي ما زال يدوي بها صوت أروى وتتعطر بريحها، يأمل في أن يجدها هنا، أن يسمع صوتها هنا.

كل شيء في الغرفة كما هو على حاله، لم يتغير به شيء منذ أن تركتها أروى لم يتحرك بها شيء أو قل منها شيء .. ذلك السرير ذو العرض ال120سم والذي يتوسط 2 كومود وتلك الأباجورة الموضوعة على يمينه فوق الكومود بلونها الوردي بجواره تسريحة بكرسي صغير وأمامه الدولاب الذي يحمل كل ملابسها منذ ولادتها حتى آخر قطعة ارتدها في منزل والدها.

لم يتغير بها شيء سوى ذلك الإطار المستطيلي ذي اللون الفاتح عن باقي الغرفة، الذي كان يحمل تلك اللوحة الزيتية التي نقلتها معها لشقة الزوجية.

ينام محمد على سريرها بعقل شارد وجفون تقاوم النعاس وبداخله تلك الأمنية، أمنية رؤيتها مرة أخرى بأحلامه لعله يستطيع إقناعها في تلك المرة بالعودة، يتمنى أن تسنح له

الفرصة لكي يشرح لها أن سعادته معها هي ولن تكون مع غيرها، ولكي يخبرها بأنه انتقم من سارة لها وأنها خرجت بلا عودة.

يرتب الحديث بداخله ليتمكن من إقناعها في أحلامه، فهذا هو السبيل الوحيد أمامه لعودتها.

فيغلب النعاس جفونه ليتوه في عالم اللاوعي، استغرق نومه ست عشرة ساعة متواصلة دون حركة وكأنه جسد لشخص فارق الحياة ولكن بشهيق وزفير ، ورئتين تعلو لأعلى وتهبط لأسفل.

يتوه في نوم هادئ لا تشوبه شائبة لا ينقصه سوى فتاته، فتاة أحلامه، فلم يستطع في تلك المرة أن يجدها في أحلامه، أحلام بيضاء لا يوجد لها أبطال، فأين بطلة أحلامه التي يسعى خلفها؟ لا وجود لها ..غادرت بلا عودة.

يستيقظ محمد من نومه، وكأنه أفاق من غيبوبة طويلة المدى ولكن يملأه الإحباط فلم يعطه القدر فرصة ثانية للحديث معها، حتى أحلامه وافقت على اعتزالها لحياته.

يخرج محمد من الغرفة فيجد سميرة تقف في المطبخ تجهز له الإفطار، أطباق مليئة بالجبن والعسل الأسود والأبيض والحلاوة والزيتون.

- صباح الخير يا محمد .. كل ده نوم؟ شكلك منمتش بقالك كتير.

- صباح النور .. سيبتيني ليه نايم كل ده؟

- أنا الصراحة دخلت عليك لقيتك نايم فقلت بلاش أصحيك .. يلا بقى علشان نفطر سوا.

تجلس سميرة على سفرة دائرية موضوعة في منتصف الصالة عليها أطباق الإفطار ثم يجلس بجوارها محمد.

- أنا كلمت مامتك امبارح، أطمنها عليك .. قلت أكيد هتقلق عليك لما تتأخر .. فقلت أطمنها وكمان أسأل على الولاد أصلهم وحشوني.

- طب كويس علشان موبايلي فاصل شحن من امبارح.

- كان عندها واحدة اسمها سارة.

وهي تراقب ملامح محمد التي تغيرت بعد سماع ذلك الاسم وقد عقد حاجبيه بضيق:

- تاني سارة!

- محمد، مامتك حكتلي كل حاجة، سارة امبارح راحتلك البيت وملقيتكش فقالت لمامتك على كل اللي حصل بينكم.

- كل اللي حصل بيننا إني مش عايز أشوفها في حياتي تاني .. كفاية اللي عملته فيا.

- أنا عارفة أنت حبيت أروى أد إيه .. وهي كمان كانت بتحبك أوي، كنت بالنسبالها حبها الأول والأخير ، أنا عارفة اللي مريت بيه صعب بس دي إرادة ربنا يا ابني .. تخيل لما تدفن حتة منك .. قطعة من جسمك في روح تانية .. تخيل الألم اللي أنت بتبقى فيه .. مفيش حاجة على الأرض تقدر تخفف الألم ده .. وجع صعب أوي يا ابني .. أروى خدت مني عمري كله وشبابي اللي فنيته عليها .. جوزي وبنتي كانوا كل اللي أملكه في الدنيا وأغلى حاجة عندي، راحوا مني بس ده قضاء ربنا .. والحياة لازم تمشي .. مبتوقفش على حد فارق، ما احنا كلنا مفارقين.

محمد بتعجب:

- حضرتك اللي بتقولي كده؟! إنتي كمان عايزاني أكمل حياتي بالسهولة دي وأنسى أروى.

- يا ابني أروى مستحيل هتنساها دي أول حب في حياتك ومن أجمل سنين عمرك اللي قضيتها معاها .. وكمان أم ولادك وهتفضل أمهم لحد يوم الدين .. محدش

هيقدر ينكر ده، بس أنا أم وحاسة بوجع مامتك عليك .. وهي طول الوقت عايشة في قلق عليك.

- وجوازي ده هيطمنكم عليا؟

- يا ابني أنت لسه صغير .. عيش حياتك واتمتع بيها، اعمل حاجة تبسطك من تاني، اللي راح عمره ما بيرجع يا محمد ولا الحزن بيرجعه ولا الفرح بيرجعه، بس الحزن هيدمر حياتك وأنت يا أخي معاك ولاد .. أنت بالنسبالهم كل حاجة وهما محتاجينلك .. ارجع يا ابني لحياتك من تاني وجرب ومش هتخسر حاجة.

ينهي محمد فطوره معها ويودعها بقبلة على رأسها ويغادر.

لا يوجد أمامه سوى الاستسلام .. الاستسلام لرغبتهم، فجميعهم أجمعوا على أن يمضي قدما في حياته .. لا أحد منهم أخذ بعين الاعتبار حبه العميق لأروى بما فيهم أروى نفسها .. لا يوجد أمامه سوى الخضوع لمطلبهم .. المطلب الجماهيري الذي يهتفون به .. وهو أن يعطي فرصة لتلك الفتاة ربما يكون هذا لصالحه .. من يدري؟ ربما هي دواءه .. وهي التي ستستطيع أن تساعده ليتماثل للشفاء من لعنة أروى له .. لعنة حب أشعلت حياته وأسرته وألقته في سجن مظلم ...

يقود سيارته متجها لمنزله وهو يقلب بعقله تلك المحادثات ، كلمات أروى التي اختفت من أحلامه .. كلمات والدتها التي استمرت في حياتها رغم فقدانها لأعز ما لها، وكلمات عادل وفقدانه لإحساس الحب الذي لم يطأ قلبه من قبل، وكلمات والدته التي طالما أرادت سعادته .. فماذا لديه بعد أن فقد الأمل في عودة أروى .. لا شيء .. لا شيء سوى الخضوع والاستسلام في تلك المعركة العنيفة التي دارت بينه وبين واقعه .. قدره الذي خطف منه أروى وألقاه في واقع بلا أروى .. ليعيش باقي حياته في تعاسة دائمة .. أو أنه يغير مجرى حياته ويبحث عن السعادة بطرق أخرى ولا يقف في تلك المحطة، بل يستمر في قطار الحياة باحثا عن مصدر آخر للسعادة يستمد منه سعادته .. لا يوجد أمامه سوى سبيل واحد هو أن يحقق وعده لأروى ويقبل مساعدة وحب سارة له ... سارة التي ينظر لها بأنها هي من أفسدت حياته ولكن نظرته عكس نظرة من حوله لها، فهي من تحاول إصلاحها، وخياره الآن أن يواجه واقعه.

يصعد محمد لشقته فيجد سارة تجلس مع والدته في انتظاره لتطمئن عليه بعد غياب هذه الليلة ، فيسحبها من يدها دون أن يخرج من فمه كلمة واحدة بينما والدته تنظر له بتعجب ، وسارة لا تدري ما ينويه هذه المرة لها، فقد مارس معها أساليب كثيرة

لتكرهه وتبتعد عنه .. فهل اليوم في نيته طريقة جديدة ليجعلها تفر منه أكثر؟!

- أنت واخدني على فين؟

- شوية وهتعرفي؟

يتحرك محمد بسيارته وبجواره سارة وهما في صمت شديد، لكن القلق يداعب ملامح وجهها لا تقدر على إخفائه، وعلى الرغم من شعورها بالتوتر إلا إنها تشعر أيضا بالاطمئنان دائما بصحبته ولا تهاب شيئا فهي تعرف قدر حبها له، ذلك الحب الذي يدفعك لحدف نفسك باليم لو كان هذا سيرضي من تعشقه.

تجد سارة نفسها في الطريق المتجه للإسكندرية الصحراوي فتتوجه لمحمد بسؤال ربما إجابته تؤكد شكوكها.

- أنت رايح إسكندرية؟

- آه.

- ليه؟

- هناك هتعرفي.

تمر ثلاث ساعات عليهم في صمت شديد كل ما يخترق آذانهم أصوات عجلات السيارات الأخرى، لتجد سارة نفسها أمام أحد شواطئ الإسكندرية ولا تدري لماذا توقف محمد بسيارته هنا .. شاطئ مثل أي شاطئ برماله وصخوره ومائه، لا شيء به جديد

لا يمثل لها سوى مصيفا ومنظرا بديعا، لكن بالنسبة لمحمد يمثل شيئا آخر .. شيئا مختلفا.

ترجل محمد من سيارته وتبعته سارة، فتجده يمضي قدما ليجلس أمام الشاطئ .. ذلك الشاطئ الذي كان شاهدا على حبه لأروى في واقعه وأحلامه، فجلست سارة بجواره وهي تتأمل أمواج البحر الهادئة.

- أنا وعدت أروى إنى أكمل في حياتى ليا ولولادى .. بمعنى إني هبدأ صفحة جديدة وأنسى الماضي المؤلم .. بس أروى وذكرياتي معاها طبعا لا.

لم يرد إخبارها بأن وعده لأروى شمل بند محاولة حبه لها حتى لا يزيد تعلقها به أكثر، فهو لا يدري نتيجة هذه المحاولة هل ستبوء بالنجاح أم الفشل، وحتى لا تتوقع أن حب محمد لها يحمل طلب التوصية الموقع من أروى .. فيكفى عليه ألم جراحه هو، فلن يقدر على جرح أحد آخر في حياته .. فترك الأمور تسري لما مقدر لها أفضل من التدخل بأحداثها.

- أنا بجد مبسوطة إني بسمع الكلام ده منك.

- في المكان ده بدأنا حبنا أنا وأروى ومشوارنا سوا .. والنهارده حبيت أبدأ صفحتي الجديدة هنا بردو.

- وأنا موجودة في صفحتك الجديدة دي ولاااااااا؟

- سيبي كل حاجة تيجي في وقتها، مين عارف بكره مخبيلنا إيه.

شعرت سارة بسعادة بالغة بعد تلك الكلمات التي تحمل بداخلها إذن دخول عالم محمد لتثبت له حبها.

- بما إننا هنبدأ صفحة جديدة، فحبيت أعتذر على كل اللي عملته فيكي في الأيام اللي عدت، أنا عارف إني قسيت عليكي كتير، فياريت تسامحيني وننسى كل اللي فات.

- محمد، أنا عارفة إن اللي مريت بيه كان صعب أوي عليك، وأنا طبعا مقدرة ده .. فأنا عمري ما هزعل منك مهما عملت.

- يعني خلاص سماح؟

سارة بابتسامة مشرقة:

- سماح.

- صحيح .. أنا معرفش عنك أي حاجة، أنا عارف إني مطلبتش قبل كده إني أعرف .. بس أنا دلوقتي حابب أعرف.

- خلاص .. هي مش صفحة جديدة يبقى نبدأ نتعرف من أول وجديد .. يلا اتفضل أنا سامعاك أهو.

- أنا محمد ..

ثم ينظر لها في سكون.

- ما إنتي عارفة عني كل حاجة ! أنا بقى اللي عايز أعرف.

- خلاص يا سيدي أنا هقولك أهو .. أنا سارة 28 سنة .. بشتغل في شركة الدعايا اللي أنت عارفها طبعا ، وعايشة لوحدي في الشقة اللي أنت بردو عارف عنوانها.

فيقاطعها محمد:

- طب و...

- آلاء أختي .. مش تقصد اللي شفتها عندي لما جيت .. دي كانت آلاء أختي .. بتيجي عندي كل فترة تقضي معايا كام يوم .. بس مش بتقدر تبعد عن ماما كتير.

- طب إنتي سايبة بيت العيلة ليه؟ ليه مش عايشة معاهم؟

- سبته من خمس سنين .. ما استحملتش العيشة مع بابا ، بيحب يتجوز كتير وكل يوم في واحدة جديدة في حياته وماما بقى بتحبه ومش عايزة تنفصل عنه .. استحملت طبعه ده لحد ما كان عايز يجبرني على إني أتجوز ابن

عمتي، كان دكتور في الجامعة .. وافقت على الخطوبة رغم إني كنت بسمع إشاعات كتير عنه .. أو بمعنى أصح مش إشاعات دي حقيقة ، سمعت إنه مقضيها ويعرف بنات كتير، أنا مكنتش مصدقة لحد ما جات اللحظة اللي شفته فيها بعيني في مكتبه، ومن ساعتها والمشاكل بيني وبين بابا زادت وسيبت البيت.

- هو ده اللي شدك ليا .. إني مخلص لأروى؟

شعرت سارة بخجل يداعب وجنتيها:

- تقريبا.

صورتها ما زالت تجول في خاطره لا يقوى على فراقها رغم محاولاته التي وعدها بها .. صوتها ما زال يدوي في أذنه بنبرتها الناعمة التي تذيبه عشقا فيها.

- محمـــــد .... محمـــــد.

فيجمع قواه العقلية مرة أخرى وينظر لسارة ليبتعد عن تفكيره المتشبث بأحلامه ويرفض تركها .. فما زال عقله عالقا بين أحلامه وواقعه المفترض أن يكون .. ما يريده وما تريده منه الحياة.

- مش هتندمي في يوم من الأيام على اختيارك؟

- مستحيل يا محمد أندم على حبي ليك أبدا .. ده أنت اللي علمتني إزاي أحب .. وفهمتني معنى الإخلاص.

- أنا هحاول يا سارة .. ومش عارف آخرة المحاولة دي إيه.

- وأنا معاك لحد الآخر ومش هسيبك.

هل بتلك البساطة سيتخلى محمد عن أحلامه مع أروى، ويترك عالمها ويرحل؟!

يصمت محمد ويترك الحديث مع سارة ولكن بداخله حديث آخر .. حديث يواجه به نفسه الجديدة وما يمر به والقادم على فعله.

- خلاص استسلمت؟!

- أنا وعدتها إني هحاول.

- طب وهي! وأحلامك معاها؟

- هى اللي سابتني .. وعايزة كده.

- أنت فاكر إنك هتقدر؟

- بحاول.

- محاولتك دي هتنجح لما أنت تبقى من جواك عايز تنجح .. أنت بقى عايز إيه؟

- أنا! أنا مش عارف أنا عايز إيه.

- بس لازم تعرف.

- أنا قلبي معاها، مش قادر يفارقها .. بيحاول يرضيها حتى لو على حسابه.

- يعني هتسيب الماضي خلاص .. وتعيش في الحاضر وتفكر في مستقبلك.

- أنا عايش ما بينهم .. لا أنا قادر أسيب الماضي .. ولا أنا عايز أعيش الحاضر والمستقبل من غيرها.

كيف لعقل تائه في ماضيه أن ينجح في حاضره أو ينظر لمستقبله، فمن يرغب في المضي قدما يلقي خلفه ما مضى به وينظر إلى الأمام فقط .. لكن هل جميعنا في استطاعتنا أن نأخذ تلك الخطوة بسهولة في حياتنا؟

فهناك من يحتجز في الماضي دون عودة .. يعيش مفقود في الحاضر ولا ملامح لمستقبله ، وهناك من يعشقون حاضرهم ويرفضون تغييره ، وهناك من يرهقون عقولهم بالتفكير في المستقبل .. كثير منا يعيش في تلك الحلقات الدائرية فالنسبة لهم تلك هي الحياة، وهناك فئة يتوسطون تلك الحلقات، يحاولون ربط ماضيهم بحاضرهم وحاضرهم بمستقبلهم، من يرغب منهم النجاح يسعى خلفه راكضا دون أن يسأم، ومنهم من يحاول دون رغبته أن يقضي ما بقي في حياته بين الحلقات، فهنا بالنسبة له يكمن الأمان.

بينما محمد منشغل بحواره الداخلي تكبر صورتها تدريجيا في ذاكرته، فيجدها على الأمواج الهادئة التي تصطدم بالشاطئ .. نعم هي .. صورة أروى .. صورتها على كل موجة تنظر له بابتسامتها التي أسرت حياته .. وكأنها ترفض أن يذهب محمد لغيرها .. ربما قد غيرت رأيها ولم تعد تريده أن ينفذ وعده لها، تتمسك به أكثر وأكثر ليظل معها، أم أن عقل محمد هو من يرفض غيرها وقلبه معلق بالآمال، ما زال يتشبث بها ويترجاها ألا تتركه.

ينظر محمد لصورتها بشوق ولهفة ويبتسم لها، بينما بجواره سارة تسرح في ملامحه فتجد ابتسامته تعلو شفتيه فتتنبأ بنجاح محاولته .. فها هي البشائر قد ظهرت على وجهه في ابتسامته .. تنبأت دون أن تعلم ما يدوربخاطره وما سر ابتسامته الحقيقية لكنها تعلم جيدا ما يدور بخاطرها .. سعادتها البالغة بعد أن حصلت على تأشيرة دخول أراضي محمد المحرمة .. لا تنظر إلى نتيجة المحاولة لأنها تعلم أنها ستسعى جاهدة لإنجاحها بقدر الإمكان دون تنازل.

تميل سارة برأسها على كتف محمد وبصوت هادئ كموج البحر:

- أنا بحبك أوي يا محمد.

بينما محمد عالق في أحلامه مع أروى، فتأخذه ذكرياته للفتاة التي كان يضمها في هذا المكان وصوتها الذي ما زال يتردد على أذنه بتلك الكلمة التي سمعها أول مرة في حياته منها.

فيرفع محمد ذراعه وهو ما زال يتأمل صورتها على الأمواج وهو مبتسم، ويحيط به سارة ويضمها إليه ثم يهمس لها:

- وأنا كمان بحبك أوي يا أروى ....

❁❁

تمت

الفهرس

تقديم ---------- 2
إهداء ---------- 3
ألبوم صور ---------- 4
الطفولة ---------- 19
إثبات شخصية ---------- 29
القرار الصعب ---------- 43
العودة ---------- 52
الجامعة ---------- 74
زوج إجباري ---------- 95
تحقيق الحُلم ---------- 124
الحادثة ---------- 146
تصارع النفس ---------- 170
الحلم ---------- 205
الشروع في الحب ---------- 220
الفهرس ---------- 247

❀❀